جذور الشقاء وعلاجه في ضوء القرآن والسنة

مريم محمود عمر
د أنور حسين
د نور حياة حسين

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على جذور الشقاء وعلاجه في ضوء القرآن والسنة وتطرقت إلى دراسة إشكالية ماهية جذور الشقاء وكيفية علاجه وتستمد الدراسة أهميتها من كونها تساهم في توعية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق والنور وإلى ما ينفعهم في الدارين وإبراز قيمة ما يملكه المسلم بعمله بتعاليم الدين وبحصوله لرضوان الله عز وجل الذي هو أساس السعادة ، واستنتجت هذه الدراسة عدة نتائج مهمة منها : أن جذورالشقاء له أسباب متعددة وأن وقوع الإنسان بإحدى هذه الأسباب تسهل على الشيطان مهمته ، وأيضا من النتائج إستمرار عداوة الشيطان للإنسان ما دامت روحه في جسده وذلك بهدف إيقاعهم في الضلال والكفر ليعيشوا في شقاء وليستحقوا اللعن والطرد من رحمة الله كما حدث معه فعند ذلك يخسرون الدنيا والآخرة ويكونوا بجواره في جهنم ، و أن البعد عن الله تعالى بعد عن السعادة الحقيقية . وأوصت الدراسة بالحرص على تحصين النفس من الوقوع في الشقاء وذلك بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتقرب إلى الله أكثر ، و عدم الإستهانة بالمعاصي والذنوب لأنها السبيل الذي يستدرج العبد من خلاله إلى الشقاء .

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ثم الصلاة والسلام على رسول الله حبيب الله المصطفى محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعه واستنّ بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد أنزل الله عزّ وجل القرآن الكريم هداية للبشرية كما قاله سبحانه وتعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)[108] ، فهدى الله عزّ وجل القرآن البشرية للتي هي أقوم , يقول الله عزّ وجل (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)[109]، فهداية

[108] سورة المائدة , اية 15

[109] سورة الإسراء , آية 9

القرآن ليست محصورة بجانب واحد بل هي هداية عامة , فبيّن الله لعباده طريق الخير والشر ، بيّن لهم طريق الخير ودعا إليهم ليسلكوا هذا الطريق وبيّن لهم سبحانه طريق الشر وحذّرهم من هذا الطريق ونهى عنهم ، قال الله تعالى (وهديناه النجدين)[110] وأيضا قال الله تعالى (ونفس وما سوّاها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دسّاها)[111] . ولكي يفلح الإنسان عليه أن يبتعد طريق الخيبة فلو سلك العبد هذا الطريق يناله من الشقاء والتعاسة بقدر ما قصّر في طريق الحق وبقدر ما فرّط في جنب ربه ومتّع نفسه بما يغضب الله عليه وغفل عن ذكر الله واتبع طريق الشيطان كما قال الله تعالى (ومن يعشُ عن ذكر الرّحمن نُقيّض له شيطانا فهو له قرين)[112] ، فيكون هذا الشيطان صادا له عن كل خير وداعيا له إلى كل شر كي يكون شقيا تعيسا وإن تمتّع بالشهوات ، يقول الله عز وجل (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى)[113] ، وبسبب بعده عن الحق وإعراضه عن آيات الله وكفره به وعصيانه يندم الإنسان حين لا ينفعه الندم ويتذكّر ما عمل في حياته فأنّى له الذكرى , ومن أعظم ما يتذكّر عدم استجابته لله ورسوله صلى الله عليه وسلم كما أخبرنا الله سبحانه عز وجل (يومئذ يتذكّر الإنسان وأنّى له الذكرى)[114] ، ويتمنّى أن لو اتبع طريق الهدي فيقول الله مخبرا عن حالهم وندمهم بقولهم (يا ليتني اتّخذت مع الرسول سبيلا)[115] ،

فالشقي يودع حياته بسوء الخاتمة فلا يستطيع أن يلهج بالشهادتين ويكره لقاء الله ، إذاً فتطبيق الحياة البشرية في جميع شؤونها بمنهج القرآن الكريم أمر لا بدّ منه ليسلكوا طريق الخير والسعادة والفلاح وليبتعدوا عن طريق الشر والشقاء لكيلا يخسروا .

جذور الشقاء في ضوء القرآن والسنة

مفهوم الشقاء :

الشقاء لغة : الشدة والعسر ، واصطلاحا فهو كما هو مذكور في كتب اللغة بأنه المعاناة والتعب والتعاسة والنحس والعسر والضلال والكفر والحرمان وهو ضد السعادة ونقيضها ، فقد عرّفه الثعالبي بأن الشقي من كان بين سخط الخالق وشماتة المخلوق ومن كان مشغولا بلا دين ولا دنيا[116] ، أما القشيري فقد عرّفه بأن الشقي من قسم له الحرمان في حاله[117] ،

---

[110] سورة البلد , آية 10

[111] سورة الشمس آية 7_10

[112] سورة الزخرف , آية 36

[113] سورة طه , آية 124

[114] سورة الفجر , آية 23

[115] سورة الفرقان , آية 27

[116] أبو منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل . 1401هـ 1981م . *كتاب التمثيل والمحاضرة* . عبد الفتاح محمد الحلو . الطبعة الثانية . الدار العربية للكتاب . ص 397 .

[117] عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري . د. ت . *لطائف الإشارات* . إبراهيم البسيوني . الطبعة الثالثة . مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ج 2 ص 158 .

وكذلك عرفه الطيبي بالشقي بأنه الذي وجبت له النار لإساءته[118] ، بينما عرّف حسن المهدي بأن الشقي هو من عصى ربه وأطاع الشيطان عدوه وكثر شره وعق أهله ومن طبع على قلبه ونسي عقاب ربه فهو شقي في عمله شقي في نفسه منغمس في الشهوات المحرمة متبع لهواه ومعرض عن ذكر مولاه فمعيشته ضنكة وإن عمّر القصور فمتاعه يسير وعيشه حقير[119] .

إذاً نستنبط من هذه التعريفات بأن الأشقياء هم المفلسون من كنوز الإيمان ومن رصيد اليقين فهم أبدا في تعاسة وغضب ومهانة وذلّة ، قال الله تعالى : (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي وأعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه (فإن له معيشة ضنكا) أي في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعّم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبه يتردد وهذا من ضنك المعيشة ، وفسر ابن عباس بأن المعيشة الضنك هو الشقاء

جذور الشقاء

1 الابتعاد عن منهج الله ومخالفة أوامره

الإيمان بالله ورسله فيه السعادة العاجلة والآجلة ويقوّم السلوك والأخلاق والآداب ويهدي للتي هي أقوم إلا أن كثيرا من الناس ليس عندهم هذا الإيمان الذي يحقق لهم السعادة ويبعدهم عن الشقاء بأسباب عديدة تعيقهم وتمنعهم من الإيمان بالله ورسله ومن هذه المعوقات التي تحول بين القلب والحق :

أ) الجهل عن حقيقة الإيمان : أعظم الجهل وأشده هو الجهل بالله عز وجل وبما جاء به الرسل عليهم السلام والذي ارتضاه الله لعباده لأن الجهل يضر العبد ويجعله لا يعرف الصالح من الطالح والنافع من الضار ولهذا ذم الله الجهل وأهله وقال : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ[120]} قال سيد قطب في تفسير هذه الآية : فالعلم الحق هو المعرفة. هو إدراك الحق، هو تفتّح البصيرة، هو الاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود، وليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التي تزحم الذهن، ولا تؤدي إلى حقائق الكون الكبرى، ولا تمتد وراء الظاهر المحسوس... فأما الذين يقفون عند حدود التجارب المفردة والمشاهدات الظاهرة فهم جامعوا معلومات وليسوا علماء[121] ، فمصيبة هؤلاء هو الجهل بالحق والإعراض عنه وهذا هو سبب عدم الإيمان إذ يستوي عندهم الإنذار وعدمه وهذا ما قاله شيخ سعيد حوى عند تفسيره لهذه الآية { بَلْ أَكْثَرُهُمْ

---

[118] الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله . 1434هـ 2013م . *فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب* . إياد محمد الغوج القسم الدراسي و د. جميل بن عطا المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب و د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء . جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم . ج 8 ص 198 .

[119] القاضي حسين بن محمد المهدي . 2009م .*كتاب صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال* . اليمن : دار الكتاب . ج 2 . ص 275 .

[120] القرآن . الزمر 39 : 9 .

[121] سيد قطب .مصدر سابق . ص 3042 .

لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ[122]} وجعل لهذه الآية صلة بهذه الآية { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[123]} حيث أنهم يتمحورون في محور واحد ويتحدثون عن نفس العلة وهو علة الجهل والإعراض التي هو سبب بعدم الإيمان[124] . ووصف سيد قطب بحال هؤلاء الكفرة الذين يستوون عندهم الإنذار وعدمه بأن نوافذ بصيرتهم مغلقة فلا تصل إليهم حقيقة من الهدى[125].

ولذلك عند النظر لقصص الأمم السابقة في القرآن تجد بأنهم وصفوا بالجهل ، وهذا نبي الله نوح عليه السلام يصف قومه بالجهل

{ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ[126]} وكذلك هود عليه السلام لقومه { وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ[127]} وأيضا لوط عليه السلام لقومه { بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ[128]} وكذلك موسى عليه السلام لقومه { إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ[129]} فأي جهل أشد من استقبال النذير الناصح والأخ القريب بالتحدي والتكذيب ؟! .

ب) التقليد السيء :

التقليد السيء هو محاولة مشابهة الغير في القول أو الفعل أو طريقة الحياة المنافية بمنهج الإسلام ، وهذا التقليد هو الذي يؤذي الناس ويهلكهم وهو أمر خطير وتكلم سيد قطب عن هذا النوع من التقليد وذكر بأن القرآن رسم لهؤلاء المقلدين بصورة زرية تليق بهذا التقليد وهي الصورة البهيمية السارحة التي لا تفقه ما يقال لها ، بل إذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا يعني ، بل هم أضل من هذه البهيمة ، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح ، وهم صم بكم عمي : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[130] فهم صم بكم عمي حتى لو كانت لهم آذان وألسنة وعيون ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون ، فكأنها لا تؤدي وظيفتها التي خلقت لها ، وكأنهم

---

[122] القرآن . الأنبياء 21 : 24 .

[123] القرآن . البقرة 2 : 6 .

[124] سعيد حوى . 1424هـ . *الأساس في التفسير* . ج 7 . ص 3438 .

[125] سيد قطب . مصدر سابق . ص 42 .

[126] القرآن . هود 11 : 29 .

[127] القرآن . الأحقاف 46 : 23 .

[128] القرآن . النمل 27 : 55 .

[129] القرآن . الأعراف 7 : 138 .

[130] القرآن . البقرة 2 : 171 .

إداً لم توهب لهم آذان وألسنة وعيون ، وهذه منتهي الزراية بمن يعطل تفكيره ويغلق منافذ المعرفة والهداية ، ويتلقى في أمر العقيدة والشريعة من غير الجهة التي ينبغي أن يتلقى منها[131]. وكذلك ذكر شيخ سعيد حوى بأن عقلية الكافر هي عقلية مقلدة لأنها تزن ما تؤمن به بالرجال ولو كانوا على غير علم وعقل وفهم[132]، وأيضا فصّل مسألة التقليد حول مسائل الأصول والفروع ونقل أقوال العلماء عن التقليد ومما نقله قول القرطبي : (تعلق قوم بهذه الآية في ذم التقليد لذم الله تعالى الكفار باتباعهم لآبائهم في الباطل واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية، وهذا في الباطل صحيح. أما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين، وعصمة من عصم المسلمين، يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر ....) وأيضا قول ابن عطية : (أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد)[133]. فهؤلاء المقلدون يتبعون ما شرعه العبيد واختاروا عبودية العقل والضمير ، وهذا بسبب تعطيلهم لحواسهم الذين أمروا باستخدامها بطريقة سليمة ، فلذلك ينتج عنه نتائج سلبية ومنها انتشار الفساد سواء كان الفساد العقدي والمادي والأخلاقي والإفتتان عن الدين والعيش بالشقاء ، وبالنهاية يكون مصيرهم التبرؤ والتلاعن ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[134] لو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التابعين ورأو العذاب فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب ، وانشغل كل بنفسه تابعا كان أم متبوعا ، وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها ، وعجزت عن وقاية أنفسها فضلا عن وقاية تابعيها ، وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة ، وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب ، وتبدى الحنق والغيظ من التابعين المخدوعين في القيادات الضالة ، وتمنوا لو يردون لهم الجميل! لو يعودون إلى الأرض فيتبرأوا من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها ، التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب ، إنه مشهد مؤثر ، مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين[135]. وكذلك في قوله تعالى :﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ . وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾[136] أي لعنت التي ضلت بالاقتداء بها حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها جَمِيعاً أي حتى إذا تلاحقوا واجتمعوا في النار كلهم

[131] سيد قطب . مصدر سابق . ص 155 ـ156.

[132] سعيد حوى . مصدر سابق . ج 1 . ص 376 .

[133] المصدر السابق . ج1 . ص 379 .

[134] القرآن . البقرة 2 : 166 ــ 167 .

[135] سيد قطب . مصدر سابق . ص 154 .

[136] القرآن . الأعراف 7 : 38 ــ 39 .

السابقون واللاحقون والسادة والأتباع ، قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ ، تحتمل أن تكون الأخرى منزلة والأولى منزلة أي قال الأتباع والسفلة للسادة والرءوس، أي عنهم؛ لأن خطابهم مع الله لا معهم، وتحتمل أن يكون المتأخرون قالوا للمتقدمين، لأن ضلال المتأخرين كان بسبب الاقتداء بمن قبلهم[137] ، و هكذا تبدأ مهزلتهم ومأساتهم فهم متناكرون أعداء فيتهم بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا ويطلب له من ربنا شر الجزاء وبهذا ينتهي ذلك المشهد الساخر الأليم[138].

ج) الفسق : الفسق هو العصيان والترك لأمر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق والميل إلى المعصية ، كما فسق إبليس عن أمر ربه ، وفسق عن أمر ربه أي جار ومال عن طاعته[139]، وهو من أكبر العوائق التي تعيق وتمنع قبول الحق ، فقال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[140] وذلك لا لأنه يمنعهم من الإيمان فهذه دلائله قائمة في الكون وهذه مقدماته قائمة في اعتقادهم ولكن لأنهم هم يحيدون عن طريق الموصل إلى الإيمان ويجحدون المقدمات التي في أيديهم ويصرفون أنفسهم عن الدلائل المشهودة لهم ويعطلون منطق الفطرة القويم فيهم[141]. و كَذلِكَ أي مثل ذلك الحق أو كصرف هؤلاء عن الحق حَقَّتْ أي وجبت وثبتت كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أي على الذين تمردوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ هذي هي كلمة الله الأزلية أن الفاسق لا يستأهل الهداية، ولا يهديه الله، فكما حقت على هؤلاء كلمة الله أنهم لا يؤمنون بسبب من تعنتهم وإصرارهم على محاربة الحق، فكذلك حقت كلمة الله على كل فاسق أن لا يؤمن. نسأل الله العافية. وإذن فهؤلاء المشركون لا يؤمنون بالرسول والوحي لفسوقهم. إن عقوبة الفسوق أن لا يهدي الله صاحبه إلى الإيمان مع قيام الحجج فيه. فمن أراد الإيمان فعليه أن يطهر نفسه من الفسوق بترك مظهره الأول وهو الكبر[142].

د) اتباع الظن :

الإتباع لغة هو تَبِعَ الشيءَ تَبَعاً وتَباعاً فِي الأَفعال وتَبِعْتُ الشيءَ تُبوعاً أي سِرْت فِي إِثْرِه ، وقال سيبويه : تتَبَّعَه اتِّباعاً لأَن تتَبَّعْت فِي مَعْنَى اتَّبَعْت ، وتَبِعْت الْقَوْمَ تَبَعاً وتَباعةً إِذا مَشَيْتَ خَلْفَهُمْ ، والاتِّباع أَن يَسِير الرَّجُلُ وأَنت تَسِيرُ وراءَه[143] ،

[137] سعيد حوى . مصدر سابق . ج 4 . ص 1899 .

[138] سيد قطب . مصدر سابق . ص 1290 .

[139] ابن منظور . مصدر سابق . ج 10 . ص 308 .

[140] القرآن . يونس 10 : 33 .

[141] سيد قطب . مصدر سابق . ص 1783 .

[142] سعيد حوى . مصدر سابق . ج 5 . ص 2455 .

[143] ابن منظور . مصدر سابق . ج 8 . ص 27 .

والمراد به هو مطلق الانقياد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه[144]، فاتباع الظن هو أصل الضلال ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾[145] فهم لا يستندون إلى يقين فيما يعتقدون أو يعبدون أو يحكمون ، ولا إلى حقائق مدروسة يطمئن إليها العقل والفطرة ، إنما يتعلقون بأوهام وظنون ، يعيشون عليها ويعشون بها ، وهي لا تغني من الحق شيئا ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[146] ولا يحققون هذا الظن ولا يمتحنونه عملا ولا عقلا ... ولا يطلقون عقولهم من إسار التقليد الظني[147]. وكذلك فسر شيخ سعيد حوى بهذه الآية وما يتبع أكثرهم أي كلهم إلا ظنا أي توهما وتخيلا ، فلا دليل عندهم ولا برهان ، إن الظن لا يغني من الحق شيئا فيما المطلوب فيه العلم ، أي لا يغني من العلم أي إغناء ، فلا قيمة له في هذا المقام ، إن الله عليم بما يفعلون من اتباع الظن وترك الحق ، وهو تهديد ووعيد شديد على اتباعهم الظن وتركهم هداية الله العظيمة المتمثلة في القرآن[148]، فلهذا القرآن نهى وحذّر من اتباع الظن لأنه لا ينتهي إلا الى الضلال وذمّ لأولئك الذين يتبعون الظن ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾[149] ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾[150] فالحق هو ما تضمّنه الكتاب الذي أنزله الله ، يقرر أن ما يقرره البشر وما يرونه إن هو إلا اتباع الظن الذي لا يقين فيه ، واتباعه لا ينتهي إلا الى الضلال ، ويحذّر من أن يطيع الناس في شيء يشيرون به عليه من عند أنفسهم ، مهما بلغت كثرتهم ، فالجاهلية هي الجاهلية مهما كثر أتباعها الضالون[151]. فالكفر لا يقوم على شيء يقيني أبدا بل مبناه على الظنون والأوهام[152]﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[153] فهم لم يتبعوا الظن والهوى وهم لهم عذر وليست العلة خفاء الحق ولا ضعف الدليل إنما هي الهوى يستمدون منها الدليل والعقيدة لا مجال فيها للظن والهوى ، ولا بد فيها من اليقين القاطع والتجرد من الهوى والغرض ، لأنه متى انتهى الأمر إلى شهوة النفس وهواها فلن يستقيم أمر ولن يجدي هدى[154]، وقال النسفي : إنما يعرف الحق الذي هو حقيقة الشيء وما

---

[144]سعيد حوى . مصدر سابق . ج 5 . ص 2456 .

[145]القرآن . النجم 53 : 28 .

[146]القرآن . يونس 10 : 36 .

[147]سيد قطب . مصدر سابق . ص 1785 .

[148]سعيد حوى . مصدر سابق . ج 5 . ص 2456 .

[149]القرآن . النجم 53 : 28 .

[150]القرآن . يونس 10 : 66 .

[151]سيد قطب . مصدر سابق . ص 1195 .

[152]سعيد حوى . مصدر سابق . ج 3 . ص 1751 .

[153]القرآن . الأنعام 6 : 116 .

[154]سيد قطب . مصدر سابق . ص 3408 .

هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم[155]﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾[156] فلا كفر ولا شقاء إلا بسبب اتباع الظن .

هـ) التفرقة بين المنهج الالهي والإبداع الإنساني :

هناك من يزعم أن البشر لم يبلغوا الرشد، ونضوج العقل إلا في هذه الأوقات التي طغت فيها المادة، وعلوم الطبيعة، وأنهم قبل ذلك لم يبلغوا الرشد وهذا فيه من الجراءة والإقدام على السفسطة والمكابرة للحقائق، والمباهتة ما لا يخفى على من له أدنى معقول لم تغيره الآراء الخبيثة ، كما يفعله ملاحدة الماديين في حصرهم العلوم بمدركات الحس؛ فما أدركوه بحواسهم أثبتوه، وما لم يدركوه بها نفوه، ولو ثبت بطرق وبراهين أعظم بكثير، وأوضح وأجلى من مدركات الحس، وهذه فتنة وشبهة؛ ضل بها خلق كثير[157]، لأن هناك عصابة من المضللين الخادعين أعداء البشرية . يضعون لها المنهج الإلهي في كفة والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى ؛ ثم يقولون لها :اختاري ! اختاري إما المنهج الإلهي في الحياة والتخلي عن كل ما أبدعته يد الإنسان في عالم المادة ، وإما الأخذ بثمار المعرفة الإنسانية والتخلي عن منهج الله ! وهذا خداع لئيم خبيث . فوضع المسألة ليس هكذا أبدا . . إن المنهج الإلهي ليس عدوا للإبداع الإنساني . إنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة . . ذلك كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض . هذا المقام الذي منحه الله له ، وأقدره عليه ، ووهبه من الطاقات المكنونة ما يكافئ الواجب المفروض عليه فيه ؛ وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيقه ؛ ونسق بين تكوينه وتكوين هذا الكون ليملك الحياة والعمل والإبداع . . على أن يكون الإبداع نفسه عبادة الله ، ووسيلة من وسائل شكره على آلائه العظام ، وا لتقيد بشرطه في عقد الخلافة ؛ وهو أن يعمل ويتحرك في نطاق ما يرضي الله . فأما أولئك الذين يضعون المنهج الإلهي في كفة ، والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى . . فهم سيئو النية ، شريرون ، يطاردون البشرية المتعبة الحائرة كلما تعبت من التيه والحيرة والضلال ، وهمت أن تسمع لصوت الحادي الناصح ، وأن تؤوب من المتاهة المهلكة وأن تطمئن إلى كنف الله . . . وهنالك آخرون لا ينقصهم حسن النية ؛ ولكن ينقصهم الوعي الشامل ، والإدراك العميق . . هؤلاء يبهرهم ما كشفه الإنسان من القوى والقوانين الطبيعية ، وتروعهم انتصا رات الإنسان في عالم المادة . فيفصل ذلك البهر وهذه الروعة في شعورهم بين القوى الطبيعية والقيم الإيمانية ، وعملها وأثرها الواقعي في الكون وفي واقع الحياة ؛ ويجعلون للقوانين الطبيعية مجالا ، وللقيم الإيمانية مجالا آخر ؛ ويحسبون أن القوانين الطبيعية تسير في طر يقها غير

[155]سعيد حوى . مصدر سابق . ج 10 . ص 5575 .

[156]القرآن . النجم 53 : 23 .

[157]عبد الله بن عبد الحميد الأثري . د . ت . *الإيمان حقيته ، خوارمه ، نواقضه عند أهل السنة والجماعة* . مراجعة وتقديم لدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود . ص 294 .

متأثرة بالقيم الإيمانية ، وتعطي نتائجها سواء آمن الناس أم كفروا . اتبعوا منهج الله أم خالفوا عنه . حكموا بشريعة الله أم بأهواء الناس ! هذا وهم . . إنه فصل بين نوعين من السنن الإلهية هما في حقيقتهما غير منفصلين . فهذه القيم الإيمانية هي بعض سنن الله في الكون كالقوانين الطبيعية سواء بسواء . ونتائجها مرتبطة ومتداخلة ؛ ولا مبرر للفصل بينهما في حس المؤمن وفي تصوره . . وهذا هو التصور الصحيح الذي ينشئه القرآن في النفس حين تعيش في ظلال القرآن[158]. أما الذين لا يؤمنون بالله ولا يبتغون شيئا وراء الحياة الدنيا فمهما كان شأنهم فهم محجوبون عن الحقيقة , قاصرون عن إدراكها , واقفون وراء الأسوار . أسوار الحياة الدنيا . . ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾[159]. وهو مبلغ تافه مهما بدا عظيما . قاصر مهما بدا شاملا . مضلل مهما بدا هاديا . وما يمكن أن يعلم شيئا ذا قيمة من يقف بقلبه وحسه وعقله عند حدود هذه الأرض . ووراءها – حتى في رأي العين – عالم هائل لم يخلق نفسه . ووجوده هكذا أمر ترفضه البداهة . ولم يوجد عبثا متى كان له خالق . وإنه لعبث أن تكون الحياة الدنيا هي نهاية هذا الخلق الهائل وغايته . . فإدراك حقيقة هذا الكون من أي طرف من أطرافها كفيل بالإيمان بالخالق . وكفيل كذلك بالإيمان بالآخرة . نفيا للعبث عن هذا الخالق العظيم الذي يبدع هذا الكون الكبير ، وإن العلم الذي يبلغه هؤلاء القاصرون الضالون ليبدو في أعين العوام وأشباههم , عوام القلب والإدراك والحس , شيئا عظيما ذا فاعلية وأثر في واقع الحياة الدنيا . ولكن هذا لا ينفي صفة الضلال عنهم في النهاية ,ولا صفة الجهل والقصور . فحقيقة الارتباط بين هذا الوجود وخالقه . وحقيقة الارتباط بين عمل الإنسان وجزائه . هاتان نالحقيقتا ضروريتان لكل علم حق . وبدونهما يبقى العلم قشورا لا تؤثر في حياة الإنسان ولا ترقيها ولا ترفعها . وقيمة كل علم مرهونة بأثره في النفس وفي ارتباطات البشر الأدبية . وإلا فهو تقدم في الآلات وانتكاس في الآدميين . وما أبأسه من علم هذا الذي ترتقي فيه الآلات على حساب الآدميين[160] .

2 اتباع خطوات الشيطان

من اتباع خطوات الشيطان تضييع حقوق الله فالقرآن لا يفتأ يذكر البشر بالمعركة الخالدة بينهم وبين الشيطان منذ أبيهم آدم ، ومنذ المعركة الأولى في الجنة ، وأغفل الغافلين من يعلم أن له عدوا يقف له بالمرصاد عن عمد وقصد ، وسابق إنذار وإصرار ، ثم لا يأخذ حذره ، ثم يزيد فيصبح تابعا لهذا العدو الصريح ! وقد أقام الإسلام الإنسان في هذه المعركة الدائمة بينه وبين الشيطان طوال حياته على هذه الأرض ، ورصد له من الغنيمة إذا هو انتصر مالا يخطر على قلب بشر ، ورصد له من الخسران إذا هو اندحر مالا يخطر كذلك على قلب بشر[161] ، لهذا منعهم من اتباع خطوات الشيطان ، فمن اتباع خطواته

[158] سيد قطب . مصدر سابق . ص 16 ـ 17 .

[159] القرآن . النجم 53 : 30 .

[160] سيد قطب . مصدر سابق . ص 3410 ـ 3411 .

[161] سيد قطب . مصدر سابق . ص 3199 .

ضياع حقوق الله وترك أوامره وارتكاب نواهيه كالشرك بالله الذي يخالف الهذف من غاية وجود البشر ، فهنالك غاية معينة لوجود الإنس والجن ، تتمثل في وظيفة من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده ، ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده ، وأصبح بلا وظيفة ، وباتت حياته فارغة من القصد ، خاوية من معناها الأصيل ، الذي تستمد منه قيمتها الأولى ، وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى الوجود ، وانتهى إلى الضياع المطلق ، الذي يصيب كل كائن ينفلت من ناموس الوجود ، الذي يربطه ويحفظه ويكفل له البقاء[162] . فالله سبحانه لا يريد لعباده الشرك . (ولهذا أمرهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، فقال عز وجل : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) الأمر الأول بعبادة الله ، والنهي الثاني لتحريم عبادة أحد ــ معه ــ سواه ، نهيا باتا شاملا ، لكل أنواع المعبودات التي عرفتها البشرية : (ولا تشركوا به شيئا) شيئا كائنا من كان ، من مادة أو حيوان أو إنسان أو ملك أو شيطان ، فكلها مما يدخل في مدلول كلمة شيء ، عند إطلاق التعبير على هذا المنوال[163] .

ووصف الله المشركين بأنهم (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) والشرك ألوان وأنماط كثيرة ، منهم من يشركون الجن ومنهم من يشركون الملائكة ومنهم من يشركون الأجداد والآباء ومنهم من يشركون الملوك والسلاطين ومنهم من يشركون الكهان والأحبار ومنهم من يشركون الأشجار والأحجار ومنهم من يشركون الكواكب والنجوم ومنهم من يشركون النار ومنهم من يشركون الليل والنهار ومنهم من يشركون القيم الزائفة والرغائب والأطماع ، ولا تنتهي أنماط الشرك وأشكاله[164] ، ولذلك حذر الله من مخالفة أمره (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وإنه لتحذير مرهوب وتهديد رعيب ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره ، ويتبعون نهجا غير نهجه ، ويتسللون من الصف ابتغاء منفعة أو اتقاء مضرة ، ليحذروا أن تصيبهم فتنة تضطرب فيها المقاييس ، وتختل فيها الموازين ، وينتكث فيها النظام ، فيختلط الحق بالباطل ، والطيّب بالخبيث ، وتفسد أمور الجماعة وحياتها ، فلا يأمن على نفسه ، ولا يقف عند حده أحد ، ولا يتميز فيها خير من شر ، وهي فترة شقاء للجميع : " أو يصيبهم عذاب أليم " في الدنيا أو في الآخرة جزاء المخالفة عن أمر الله ، ونهجه الذي ارتضاه للحياة[165]. إلا أنهم اتبعوا أهواءهم والهوى لا ضابط له ولا مقياس ، إنما هو شهوة النفس المتقلبة ونزوتها المضطربة ، ورغباتها ومخاوفها ، وآمالها ومطامعها التي لا تستند إلى حق ولا تقف عند حد ولا تزن بميزان ، وهو الضلال الذي لا يرجى معه هدى ، والشرود الذي لا ترجى معه أوبة[166].

---

[162] سيد قطب . مصدر سابق . ص 3387 .

[163] المصدر السابق . ص 659 .

[164] المصدر السابق . ص 2768 .

[165] المصدر السابق . ص 2535 .

[166] المصدر السابق . ص 2767 .

وإنهم فرائس لأهوائهم وشهواتهم بلا حد ولا ضابط ، ومن ثم يفقدون خاصيتهم الآدمية ويندرجون في عالم البهيمة (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام) ولا يخسر الإنسان شيئا كأن يخسر آدميته ويندرج في عالم البهيمة ، وهذا هو الذي يقع حتما بمجرد التملص من الدينونة لله وحده والوقوع في الدينونة للهوى والشهوة . وإن الدينونة لغير الله في الإعتقاد والتصور معناها الوقوع في براثن الأوهام والأساطير والخرافات التي لا تنتهي ،

والتي تمثل الجاهليات الوثنية المختلفة صورا منها ، وتمثل أوهام العوام المختلفة صورا منها ، وتقدم فيها النذور والأضاحي من الأموال وأحيانا من الأولاد تحت وطأة العقيدة الفاسدة والتصور المنحرف[167] ، وإنه لا بد من عبودية ! فإن لم تكن لله وحده تكن لغير الله ، والعبودية لله وحده تطلق الناس أحرارا كراما شرفاء أعلياء ، والعبودية لغير الله تأكل إنسانية الناس وكرامتهم وحرياهم وفضائلهم ثم تأكل أموالهم ومصالحهم المادية في النهاية[168] . فالذين يتولون الشيطان ويشركون به مع الله ، إنما يسلكون هذا المسلك توهما منهم أن للشيطان علما خفيا وقوة خارقة ، والشيطان مضل والله يكره الضلال والمضلين[169] ، وكذلك من ضياع حقوق الله ترك تأدية الفرائض كالصلاة وإضاعتها ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ أي تركوها وجحدوها واستغرقوا في الشهوات فهددهم الله بالهلاك والضلال فالغي هو الشرود والضلال وعاقبة الشرود هو الضياع والهلاك[170] . (سيد قطب ص 2314) أما شيخ سعيد حوى فقد فسر في هذه الآية فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أي فجاء من بعد هؤلاء الرسل خلف :أي ذرية سوء أَضاعُوا الصَّلاةَ المفروضة وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع؛ لأنها عماد الدين وقوامه، وخير أعمال العباد وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ أي ملاذّ النفوس، أي أقبلوا على شهوات الدنيا وملاذّها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا أي خسارا يوم القيامة. أي فسوف يلقون شرا لأن كل شر عند العرب غي. أي جزاء شرهم[171]، كما أنه نقل في تفسيره كلاما للمفسرين حول هذه الآية كابن كثير والنسفي وكذلك ذكر بعض الفوائد والحكم الموجودة في هذه الآية وقال : رأينا أنّ الحكمة في إرسال الرسل إما لإرجاع الناس عن الكفر، وإما للفصل في اختلافاتهم، وإما لتجديد حيوية السير إلى الله بالعودة إلى الصلاة، وبترك الشهوات المحرمة، وقد كفر الناس قبل بعثة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واختلفوا اختلافات كثيرة، وتركوا الصلوات واتبعوا الشهوات، فبعث الله محمدا صلّى الله عليه وسلّم وأنزل معه الكتاب، فدعا إلى الإيمان، وحكم في الاختلاف، وربى الناس

[167] المصدر السابق . ص 1940 ـ 1941 .

[168] المصدر السابق . ص 1943 .

[169] المصدر السابق . ص 2275 .

[170] سيد قطب . مصدر سابق . ص 2314 .

[171] سعيد حوى . مصدر سابق . ج 6 . ص 3287 .

على إقامة الصلوات، وترك الشهوات المحرمة[172] وقال كعب الأحبار : والله إني لأجد صفة المنافقين في كتاب الله عزّ وجل: شرّابين للقهوات ترّاكين للصلوات، لعّابين بالكعبات، رقادين عن العتمات، مفرّطين في الغدوات، ترّاكين للجماعات .قال ثم تلا هذه الآية فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا وقال الحسن البصري :عطلوا المساجد، ولزموا الضيعات، وقال أبو الأشهب العطاردي :أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود حذّر وأنذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة، وإنّ أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا آثر شهوة من شهواته أن أحرمه من طاعتي.[173]

وأيضا من اتباع خطوات الشيطان الاعتداء على حقوق الآخرين الإسلام يرفض العدوان على الناس وحذّر منه لأن العدوان والإعتداء على الآخرين صفة مذمومة ومقيتة نهى القرآن الكريم عنها و عن التعاون عليها سواء كان العدوان اللفطي أو البدني فقال الله تعالى : { ولا تعاونوا على الإثم والعدوان[174]} أي لا يعن بعضكم بعضا على ترك ما أمركم الله بفعله ولا على أن تتجاوزوا ما حدَّ الله لكم في دينكم، وفرض لكم في أنفسكم وفي غيركم[175]، وقال سعيد حوى : ويدخل في هذا النهي آلاف الصّور، إذ العلاقات الاجتماعية في الغالب إمّا تعاون على البرّ والتقوى، أو تعاون على الإثم والعدوان، على أي مستوى من مستويات التعامل،[176] فالتعاون على الإثم والعدوان يتنافى مع البر والتقوى ، فالإعتداء له صور ومنه أكل أموال الناس بالباطل فقال الله تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ[177]) أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه[178]، فأكل الأموال بالباطل يشمل كل طريقة لتداول الأموال بينهم لم يأذن بها الله أو نهى عنها ومنها الغش والرشوة والقمار واحتكار الضروريات لإغلائها وجميع أنواع البيوع المحرمة والربا في مقدمتها حيث أن الربا أشد الوسائل أكلا للأموال بالباطل،[179]

فقد حذّر الله سبحانه وتعالى بأكل أموال الناس بالباطل عن طريق التقاطي بشأنها أمام الحكام اعتمادا على المغالطة في القرائن والأسانيد واللحن بالقول والحجة حيث يقضي الحاكم بما يظهر له ، وتكون الحقيقة غير ما بدا له[180]، وذكر سعيد

---

[172] المصدر السابق . ج 6 . ص 3289 .

[173] المصدر السابق . ج 6 . ص 3291 .

[174] القرآن . المائدة 5 : 2 .

[175] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . *جامع البيان في تأويل القرآن* . ط شاكر . ج 9 : ص 490 .

[176] سعيد حوى . مصدر سابق . ج 3 : ص 1312 .

[177] القرآن . البقرة 2 : 188 .

[178] سعيد حوى . مصدر سابق . ج 1 : ص 434 .

[179] سيد قطب . مصدر سابق . ص 639 .

[180] سيد قطب . مصدر سابق . ص 176 .

حوى بأن الآية فيها نهيان : الأول هو النهي عن أكل الأموال بالباطل ، والثاني هو النهي عن أكل الأموال بالباطل عن طريق الحكام إما باستغلال ظاهر أو برشوة قاض ، وكل ذلك حرام[181]، وذكر سيد قطب بأن أكل أموال الناس بالباطل له آثار مدمرة كالقتل فقال : فما تروج وسائل أكل الأموال بالباطل في جماعة بالربا والغش والقمار والاحتكار والتدليس والاختلاس والاحتيال والرشوة والسرقة وبيع ما ليس يباع كالعرض والذمة والضمير والخلق والدين مما تعج بها الجاهليات القديمة والحديثة سواء إلا وقد كتب عليها أن تقتل نفسها وتتردى في هاوية الدمار ، وقد هدد الله لهؤلاء الذين يأكلون الأموال بالباطل بالعذاب في الآخرة ، بعد أن حذّرهم من مقتلة الحياة الدنيا ودمارها[182].

وكذلك من الإعتداء أكل مال اليتيم فقد ورد في القرآن النهي عن قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن وشدد على ذلك وهذا بسبب أن اليتيم ضعيف عن تدبير ماله ، ضعيف عن الذوذ عنه فقال جل في علاه[183]، (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن[184]) وأيضا (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا[185]) فقد توعد لمن يأكل أموال اليتامى بالنار وصورها بصورة مفزعة صورة النار في البطون وصورة السعير في نهاية المطاف وإن هذا المال نار وإنهم ليأكلون هذه النار وإن مصيرهم لإلى النار فهي النار تشوي البطون وتشوي الجلود ، هي النار من باطن وطاهر هي النار مجسمة حتى لتكاد تحسها البطون والجلود وحتى لتكاد تراها العيون وهي تشوي البطون والجلود[186] فقال (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا[187]) أي يأكلونها ظالمين إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ و ملأها ناراً لأنهم أكلوا ما يجر إلى النار بأكلهم الحقوق، فاستحقت بطونهم التعذيب من لحظة بعثهم يوم القيامة وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً أي وسيدخلون نارا يعذبون فيها؛ وأبهمت النار هنا لتعظيم ما سيعذبون به، ولبيان عظيم جرمهم فيما أتوه[188]، ونهى أن يستبدل الإنسان الحلال بالحرام كما نهى أن تؤكل أموال اليتامى بضمها، وخلطها إلى أموال الأوصياء ثم أكلها فإن هذا ذنب كبير، يتنافى مع التقوى[189]،

[181]سعيد حوى . مصدر سابق . ج 1 : ص 435 .
[182]سيد قطب . مصدر سابق . ص 640 .
[183]المصدر السابق . ص 2226 .
[184]القرآن . الإسراء 17 : 34 .
[185]القرآن . النساء 4 : 2 .
[186]سيد قطب . مصدر سابق . ص 588 .
[187]القرآن . النساء 4 : 10 .
[188]سعيد حوى . مصدر سابق . ج 2 : ص 1004 .
[189]المصدر السابق . ج 2 . ص 988 .

وقال (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا[190]) أي لا تخلطوها فتأكلوها جميعا، أو تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم، قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال و إن أكلها كان ذنبا عظيما[191].

وأيضا من الإعتداء على الآخرين هو القتل بغير حق ، فالإسلام دين الحياة ودين السلام ، فقتل النفس عنده كبيرة تلي الشرك بالله ، فالله واهب الحياة وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي يرسمها وحرام إلا بالحق ، وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه ، وليس متروكا للرأي ولا متأثرا بالهوى ، وقد جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يحل دم امرء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة[192]) فتلك الأسباب الثلاثة هي المبيحة للقتل ، فمن قتل مظلوما بغير واحد من تلك الأسباب فقد جعل الله لوليه سلطانا على القاتل إن شاء قتله وإن شاء عفى على الدية وإن شاء عفا عنه بلا دية فهو صاحب الأمر في التصرف في القاتل لأن دمه له ، وفي مقابل هذا السلطان الكبير ينهاه الإسلام عن الإسراف من القتل استغلالا لهذا السلطان الذي منحه إياه ، والإسراف بالقتل يكون بتجاوز القاتل إلى سواه ممن لا ذنب لهم كما يقع في الثأر الجاهلي الذي يؤخذ فيه الآباء والأخوة والأبناء والأقارب بغير ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل ، ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل ، والولي مسلط على دمه بلا مثلة ، فالله يكره المثلة والرسول قد نهى عنها[193]، فقتل العمد جريمة فهو الكبيرة التي لا ترتكب مع إيمان وقرنت بالشرك في مواضع كثيرة واتجه بعضهم ومنهم ابن عباس إلى أنه لا توبة منها ولكن البعض الآخر استند إلى قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[194]) فرجا للقاتل التائب المغفرة ، وفسر الخلود بأنه الدهر الطويل[195]، فقد ذكر الله في كتابه صفات ثلاثة من المنكرات الكبائر ومن ضمنها قتل النفس بغير حق فهذه الكبائر لا يفعلها عباد الرحمن فيتحرجون من ارتكاب هذه الجرائم والذي يفعل هذا الفعل فهو ليس من ضمن عباد الرحمن فهذه الصفات الثلاثة مفرق الطريق بين الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله ، والحياة الرخيصة الغليظة الهابطة إلى درك الحيوان ، وذكر الله بتهديد شديد لمن يفعلها وقال (ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا[196]) فليس هو العذاب المضاعف وحده وإنما هي المهانة كذلك وهي أشد وأنكى[197] .

---

[190]القرآن . النساء 4 : 2 .

[191]سعيد حوى . مصدر سابق . ج 2 . ص 989 .

[192]صحيح مسلم . كتاب الديات . ج3 ص 1302 . صحيح البخاري . كتاب الديات . ج9 . ص 5 .

[193]سيد قطب . مصدر سابق . 2224 ـ 2225 .

[194]القرآن . النساء 4 : 116 .

[195]سيد قطب . مصدر سابق . ص 736 .

[196]القرآن . الفرقان 25 : 68 ، 69 .

[197]سيد قطب . مصدر سابق . ص2579 .

أيضا من الإعتداء على حقوق الآخرين هو إعتداء لفطي كالقذف والشتم والسب والغيبة والنميمة والسخرية والهمز واللمز فقد ذكر الله في قرآنه بأن الذي يقذف المحصنات المؤمنات يكون ملعونا في الدارين وله عذاب عظيم (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ[198]) ويجسم التعبير جريمة هؤلاء ويبشعها ، وهو يصورها رميا للمحصنات المؤمنات وهن غافلات غارّات غير آخذات حذرهن من الرمية ، فهي جريمة تتمثل فيها البشاعة كما تتمثل فيها الخسة ، ومن ثم يعاجل مقترفيها باللعنة ، لعنة الله لهم وطردهم من رحمته في الدنيا والآخرة[199] ومن كان ملعونا يكون في قائمة الأشقياء ،أما شيخ سعيد حوى[200] فقد ربط بقذف المحصنات المؤمنات بالزلل الذي ذكره الله في آية (فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[201]) .

وأيضا من الإعتداء الهمز واللمز فالهماز يهمز الناس ويعيبهم بالقول والإشارة في حضورهم أو في غيبتهم سواء ، وخق الهمز يكرهه الإسلام أشد الكراهية ، فهو يخالف المروءة ويخالف أدب النفس ويخالف الأدب في معاملة الناس وحفظ كراماتهم صغروا أم كبروا ، وقد تكرر ذم هذا الخلق في القرآن في غير موضع ، فقال : (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ[202]) وقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ[203]) وكلها أنواع من الهمز في صورة من الصور[204]، فالهماز واللماز يعيب الناس بلسانه ويسخر منهم بحركاته سواء بحكاية حركاتهم وأصواتهم أو بتحقير صفاتهم وسماتهم بالقول والإشارة ، بالغمز واللمز باللفتة الساخرة والحركة الهازئة ، وهي صورة لئيمة حقيرة من صور النفوس البشرية حين تخلوا من المروءة وتعرى من الإيمان ، والإسلام يكره هذه الصورة الهابطة من صور النفوس بحكم ترفعه الأخلاقي ، وقد نهى عن السخرية واللمز والعيب في مواضع شتى ، ومن اتصف بهذه الصفات فقد ورد له وعيد وتهديد ، والتهديد يجيء في صورة مشهد من مشاهد القيامة يمثل صورة للعذاب مادية ونفسية ، وقد لوحظ فيها التقابل بين الجرم وطريقة الجزاء وجو العقاب ، فصورة الهمزة اللمزة الذي يدأب على الهزء بالناس وعلى لمزهم في أنفسهم وأعراضهم ، صورة هذا المتعالي الساخر تقابلها صورة المنبوذ المهمل المتردي في الحطمة التي تحطم كل ما يلقى إليها فتحطم كيانه وكبرياؤه ، وهي نار الله الموقدة وإضافتها لله وتخصيصها هكذا يوحي بأنها نار فذة غير

---

[198] القرآن . النور 24 : 23 .

[199] سيد قطب . مصدر سابق . ص 2505 .

[200] سعيد حوى . مصدر سابق . ج 7 . ص 3698 .

[201] القرآن . البقرة 2 : 209 .

[202] القرآن . الهمزة 104 : 1 .

[203] القرآن . الحجرات 49 : 11 .

[204] سيد قطب . مصدر سابق . ص 3662 .

معهودة ، ويخلع عليها رهبة مفزعة رعيبة ، وهي تطلع على فؤاده الذي ينبعث منه الهمز واللمز وتكمن فيه السخرية والكبرياء والغرور ، وتكملة لصورة المحطم المنبوذ المهمل ، هذه النار مغلقة عليه ، لا ينقذه منها أحد ولا يسأل عنه فيها أحد ، وهو موثق فيها إلى عمود كما توثق البهائم بلا احترام[205] ، وقد ربط شيخ سعيد حوى هذه الصفات المذكورة بآية (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ[206]) وفي هذه السورة ــ سورة الهمزة ــ بيان لأخلاق كافرة عنها ينبثق الجحود والإنكار ورفض الإنذار، فمن كان همه عيب الآخرين وانتقاصهم واحتقارهم لا يقبل إنذارا من أحد لنظرته السيئة إلى الخلق، ومن كان همه جمع المال لا يكون عنده محل للإنذار، ومن يتصور أن في المال الخلود فهذا ليس له إلى الآخرة تطلعات، ولذلك لا يقبل إنذارا[207].

ولهذا فالإعتداء اللفطي هو الخبيث من القول الذي ذكره الله في قرآنه (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات[208]) ففسر ابن عباس بأن الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال. والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول وذلك بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس وهذا ما اختاره ابن جرير ونقله شيخ سعيد حوى في تفسيره[209]،

وهذه الإعتداءات المذكورة وغيرها سواء الإعتداء على النفس والمال والعرض بسبب اتباع خطوات الشيطان الذي نهى الله عن اتباعه لأنه يأمر بالفحشاء والمنكر أي يأمر الناس بالقبح وما تستنكره النفوس وتنفر عنه وتستفحشه الفطرة مما يجعلهم يعيشون في شقاء .

3 فساد الفطرة والقلب

أ) فساد الفطرة

الفطرة هي ما فُطِرعليه الإنسان ظاهراً وباطناً، أي جسدًا وعقلاً ، فسَيْرُ الإنسان على رجليه فطرة جسدية، ومحاولة مشيه على اليدين خلافُ الفطرة. وعمل الإنسان بيديه فطرة جسدية، ومحاولة عمله برجليه خلافُ الفطرة ، واستنتاج المسبَّبات من أسبابها والنتائجِ من مقدماتها فطرةٌ عقلية. ومحاولةُ استنتاج الشيء من غير سببه خلافُ الفطرة العقلية. والجزم بأن ما نشاهده من الأشياء هو حقائق ثابتة في نفس الأمر فطرة عقلية، وإنكار ثبوتَها خلافُ الفطرة العقلية ، وقد بين الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية أهمية الفطرة وبين أن دين الله تعالى هو الفطرة. فالفطرة هي المبادئ والقوانين التي تحكم جميع

[205] سيد قطب . مصدر سابق . ص 3972 ـ 3973 .

[206] القرآن . البقرة 2 : 6 .

[207] سعيد حوى . مصدر سابق . ج 11 . ص 6677 .

[208] القرآن . النور 24 : 26 .

[209] سعيد حوى . مصدر سابق . ج 7 . ص 3720 .

الكائنات. والفطرة هي الإسلام وهذا ما فسره العلماء بقول الله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها[210]) ، فدين الله تعالى هو الحياة المنسجمة تماما مع ما وضعه الله تعالى من المبادئ والقوانين. وكون الدين هو الفطرة فهذا يعني الشمول، وأنّ جميع الناس مكلفون باتباعه ، ولا يمكن للإنسان أن يعيش حياة طيبة كريمة منسجما مع ذاته إلا بأداء ما أمره الله تعالى واجتناب ما نهى عنه، وهذا ما تطلبه الفطرة. ومن يعيش وفق الحقائق التي عرفها يطمئن قلبه ويسعد في الدارين. قال الله تعالى: «اَلَّذِينَ اٰمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ اَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ[211]» ، وتُعرف الفطرة من آيات الله تعالى، فهي ليست محدودة بما أنزل الله تعالى من الكُتُب، بل تشمل الآيات المسطورة في الكتاب المنشور في الكون، قال الله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ[212]) ، لكن أحيانا تمرض الفطرة الإنسانية وتنتكس فيصبح الإنسان في أسفل السافلين ، فمخالفة الفطرة يُفسد التوازن الاجتماعي، قال الله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[213])[214]،

وقال سيد قطب عند كلامه عن الفطرة بأن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة ، مزدوج الإستعداد ، مزدوج الاتجاه ، ونعني بكلمة على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه) مزود باستعدادات متساوية للخير والشر ، والهدى والضلال ، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر ، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء ، وأن هذه القدرة كامنة في كيانه ، يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة (ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها[215]) ويعبر عنها بالهداية تارة (فهديناه النجدين[216]) فهي كامنة في صميمه في صورة استعداد ، والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك ، وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان ، هي التي تناط بها التبعة ، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتظهيرها وتنمية استعداد الخير فيها ، وتغليبه على استعداد الشر فقد أفلح ، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب (قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها[217]) ، فهنالك إذاً تبعة مترتبة على منح الإنسان هذه القوة الواعية القادرة على الاختيار والتوجيه ، توجيه الاستعدادات الفطرية القابلة للنمو في حقل الخير وفي حقل الشر سواء

---

[210]القرآن . الروم 30 : 30 .

[211]القرآن . الرعد 13 : 28 .

[212]القرآن . فصلت 41 : 53 .

[213]القرآن . الروم 30 : 41 .

[214]محمد الطاهر بن عاشور . *أصول النظام الإجتماعي في الإسلام* . الطبعة الأولى 1426هـ 2005م . دار السلام . ص 36 ـ 43 .

[215]القرآن . الشمس 91 : 7 ـ 8 .

[216]القرآن . البلد 90 : 10 .

[217]القرآن . الشمس 91 : 9 ـ 10 .

، فهي حرية تقابلها تبعة ، وقدرة يقابلها تكليف ، ومنحة يقابلها واجب ، ورحمة من الله بالإنسان لم يدعه لاستعداد فطرته الالهامي ، ولا للقوة الواعية ، المالكة للتصرف ، فأعانه بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة الدقيقة ، وتكشف له عن موحيات الإيمان ، ودلائل الهدى في نفسه وفي الآفاق من حوله ، وتجلوا عنه غواشي الهوى فيبصر الحق في صورته الصحيحة ، وبذلك يتضح له الطريق وضوحا كاشفا لا غبش فيه ولا شبهة فتتصرف القوة الواعية حينئذ عن بصيرة وإدراك لحقيقة الاتجاه الذي تختاره وتسير فيه[218]، وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين ، فالله سبحانه وتعالى قال : (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله[219]) فكلاهما من صنع الله ، وكلاهما موافق لناموس الوجود ، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه ، والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويطب له من المرض ويقومه من الإنحراف ، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير ، والفطرة ثابتة والدين ثابت ، (لا تبديل لخلق الله) فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة ، فطرة البشر وفطرة الوجود[220]، لكن إذا لم ترجع إليه فقد أصبح من الذين خسروا أنفسهم وفقدوها ، كما قال الله تعالى (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون[221]) وهو تعبير دقيق عن حالة واقعة ، إن الذين لا يؤمنون بهذا الدين ـ مع عمق ندائه وإيحائه للفطرة بموحيات الإيمان ودلائله ـ هؤلاء لا بد أن يكونوا قد فقدوا قبل ذلك فطرتهم ، لا بد أن تكون أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية في كيانهم معطلة مخربة ، أو محجوبة مغلفة ، فهم في هذه الحالة قد خسروا أنفسهم ذاتها ، بفقدانهم أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية الحية في كيانها ، ومن ثم فهم لا يؤمنون ، إذ أنهم لم يعودوا يملكون أنفسهم التي بها يؤمنون ، وهذا هو التفسير العميق لعدم إيمانهم مع توافر دلائل الإيمان وموحياته من حولهم ، وهذا هو الذي يحدد مصيرهم في ذلك اليوم ، وهو الخسارة الكبرى المترتبة على خسارتهم من قبل لنفوسهم[222].

ففساد الفطرة أمر محتمل وارد سواء أكان من البيئة المحيطة بالإنسان كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم» :كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . «5» «أو من إغواء الشيطان ووسوسته ، فبعد أن خلق الله آدم أمر الملائكة بالسجود له، ولكن إبليس أبى واستكبر وخالف أمر ربه، ولم يسجد لآدم حسدا وكبرا، وبعد أن حلّت عليه اللعنة وطرد من رحمة الله توعد آدم وذريته بأن يضلهم ويفتنهم ويقعد لهم على صراط الله المستقيم، يقول الله تعالى(قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

[218]سيد قطب . مصدر سابق . ص 3917 ـ 3918 .

[219]القرآن . الروم 30 : 30 .

[220]سيد قطب . مصدر سابق . ص 2767 .

[221]القرآن . الأنعام 6 : 20 .

[222]سيد قطب . مصدر سابق . ص 1053 .

شاكِرِينَ[223])، وقد أقسم بعزة الله تعالى أن يغوي جميع بني آدم إلا المخلصين، يقول الله تعالى(قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ[224]) ،

لقد حدد الشيطان الرجيم هدفه وهو إغواء بني آدم وصدهم عن صراط الله المستقيم وصرفهم إلى طرق أخرى يضيع فيها سعيهم وتضل أعمالهم ويكون مصيرهم نار جهنم وبئس المصير[225]. ففساد الفطرة هو أعظم خسران للنفس، وبحسب فساد الفطرة وبلوغ المرء فيه يكون خسران النفس . ولذلك لابد من ان يعرفوا قبح حالهم القبيح ليتنفروا فيندموا فيتوبوا فيرجعوا. لكن لما زيّنت لهم أنفسُهم – لأجل فساد الفطرة بالاصرار وغلبة الهوى والشيطان – تلك القبائحَ، قال القرآن) :فهم لايرجعون (اشارة الى انسداد آخر الطرق عنهم، ورمزاً الى انهم وقعوا باختيارهم فيما لا اختيار لهم في الخروج كالمضطرب في بحر الرمل[226].

فساد القلب

الله تبارك وتعالى خلق الإنسان، والإنسان له ظاهر وباطن، وفي باطنه أكثر الأعضاء وأهمها كالقلب والكبد والمعدة.

فالله سبحانه وتعالى فضَّل الإنسان، وشرفه على كثير من خلقه، باستعداده لمعرفة الله سبحانه، التي هي في الدنيا جماله وكماله، وفخره وسعادته وأنسه، وفي الآخرة عدته وذخره.

واستعد الإنسان للمعرفة بقلبه فالقلب هو العالم بالله والساعي إليه والمقبول عنده فيفلح إذا زكاه ويخيب ويشقى إذا دنسه ودساه ، والإنسان إذا لم يعرف قلبه وجهله فقد جهل نفسه ومن جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل ربه فقد جهل كل شيء ، فالقلب هو محل الإيمان والتصديق واليقين والتعظيم لرب العالمين، والخوف منه، والتوكل عليه، ومحبته والأنس به، ومعرفته، والانقياد له، والتسليم له سبحانه ، ولذا صار القلب محل نظر الله من العبد، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم » :–إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)[227] وإذا استعمل الإنسان بقلبه بغير ما خلق له فقد هلك وضلّ .

أنواع القلب :

فالقلب له أنواع ، فمنه السليم والمريض والميّت ، فالقلب الميت الذي لا حياة به، هو الذي لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي لأنه متعبد لغير الله حباً

---

[223]القرآن . الأعراف 7 : 16 ـ 17 .

[224]القرآن . ص 38 : 82 ـ 83 .

[225]محمد رشيد بن علي رضا . *تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار* . 1990 . دار المنار . ج 7 . ص 308 .

[226]بديع الزمان سعيد . *إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز* . 2002 . الطبعة الثالثة . شركة سوزلر للنشر . ج 1 . ص 133 .

[227]صحيح مسلم . كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم ظلم المسلم . ج 4 . ص 1987 .

وخوفاً ورجاءً، ورضاً وسخطاً، وتعظيماً وذلاً ، فالهوى إمامه .. والشهوة قائده .. والجهل سائقه .. والغفلة مركبه .. والسيئات تجارته .. والمعاصي بضاعته .. والمحرمات سلعته. فالهوى إمامه .. والشهوة قائده .. والجهل سائقه .. والغفلة مركبه .. والسيئات تجارته .. والمعاصي بضاعته .. والمحرمات سلعته ، فلا يستجيب لداعٍ ولا ناصح، ويتبع كل شيطان مريد .. من الإنس والجن، فهذا أخبث القلوب وأنجسها وأركسها :(كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)[228]

أما القلب المريض فهو الذي له حياة وبه علة ففيه من محبة الله تعالى، والإيمان به، والإخلاص له، والتوكل عليه، وفي هذا حياته ونجاته.

وفيه من محبة الشهوات وإيثارها، والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب، وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة، والظلم، وفي هذا هلاكه وعطبه ، وهو ممتحن بين داعيين ، داعٍ يدعوه إلى الله والدار الآخرة، وداعٍ يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه بابًا، وأعلاهما صوتًا، وأكثرها حضوراً ، والقلب المريض إن غلبت عليه صحته التحق بالقلب السليم، وإن غلب عليه مرضه التحق بالقلب الميت القاسي ، فقال الله تعالى : (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ[229]) فذكر سبحانه القلب المريض وهو الضعيف المنحل الذي لا تثبت فيه صورة الحق، ثم القلب القاسي اليابس الذي لا يقبلها ولا تنطبع فيه ، فهذان القلبان شقيان معذبان[230] ،

ومرض القلب :هو نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره للحق، وإرادته له، فلا يرى الحق حقًا، أو يراه خلاف ما هو عليه، أو ينقص إدراكه له، وتفسد به إرادته له فيبغض الحق النافع، أو يحب الباطل الضار، أو يجتمعان له وهو الغالب[231] ، والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك .. ولقبول آثار الشيطان .. صلاحًا متساويًا.

ويترجح أحد الجانبين على الآخر باتباع الهوى، والانغماس في الشهوات، أو الإعراض عنها ومخالفتها ، وأبغض القلوب إلى الله القلب القاسي، والقلب القاسي والمريض كلاهما منحرف عن الاعتدال، هذا بمرضه، وهذا بقسوته : (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[232])

فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه، وأن يعرف سلاح عدوه، ليدفعه عن نفسه، وسلاح الشيطان الهوى والشهوات، وذلك كافٍ للعالمين. فالقلب كالحصن، والشيطان عدو يريد أن يقتحم الحصن ويدخله، فيملكه ويستولي عليه[233] .

---

[228]القرآن . غافر 40 : 35 .

[229]القرآن . الحج 22 : 53 .

[230]التويجري محمد بن إبراهيم . موسوعة فقه القلوب . ج 2 . ص 1304 ـ 1308 .

[231]المصدر السابق . ج 2 . ص .1373 .

[232]القرآن . الزمر 39 : 22 .

[233]التويجري . مصدر سابق . ج 2 . ص 1358 .

مداخل الشيطان

فللشيطان له مداخل ولا يقدر الإنسان على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله، ومواضع ثلمه.

فمن أبوابه العظيمة :الغضب والشهوة، فالغضب غول العقل، وإذا ضعف جند العقل، هجم جند الشيطان، فأفسد القصر ومن فيه.

ومهما غضب الإنسان، لعب الشيطان به، وفجر شهواته فيما يغضب الله.

ومن أبوابه العظيمة :الحسد والحرص، فمهما كان الإنسان حريصًا على كل شيء، أعماه حرصه، وأصمه عن الإيمان، وأقعده عن الطاعات، وزين له الكفر والفسوق والعصيان ،

ومن أبوابه العظيمة :الطمع في الناس، وإذا غلب عليه الطمع زين له الشيطان، وحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس، حتى يصير المطموع فيه معبوده، فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ولو على حساب دينه ، ومن أبوابه العظيمة :العجلة وترك التثبت في الأمور، حتى يقع فيما لا يحمد عقباه.

ومن أبوابه العظيمة :البخل وخوف الفقر، ليمنع به الصدقات والزكوات والإحسان إلى العباد، لتكثر الجرائم والسرقات ، ومن أبوابه المهلكة :التعصب للمذاهب والقبائل والأهواء والأشخاص، والحقد على الخصوم، والنظر إليهم بعين الازدراء والاستخفاف والاحتقار ، وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعًا.

فالطعن في الناس، والاشتغال بذكر عيوبهم ونقصهم، وأكل لحومهم، من صفات السباع المهلكة.

ومن أبوابه كذلك سوء الظن بالمسلمين، فيغريه الشيطان بغيبته فيهلك، ويقصر في القيام بحقه، أو يتوانى في إكرامه، وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيرًا منه، وكل ذلك من المهلكات.

ومن أبوابه العظيمة :الإسراف في إضاعة الأموال بالشهوات، وإضاعة الأوقات بالباطل، وإضاعة العقول بالعلوم السافلة، وإضاعة الحسنات بجمع الحطام الفاني[234] ،

فأصل كل معصية الوسوسة، ولهذا وصفه الله بها، وحذرنا :(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4)الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5)مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ[235])

فالذي يوسوس في صدور الناس نوعان: إنس .. وجن. فالجني يوسوس في صدور الناس .. والإنسي أيضًا يوسوس إلى الإنسي.

---

[234]التويجري . مصدر سابق . ج 2 . ص 1359 ـ 1361 .

[235]القرآن . الناس 114 : 4 ـ 6 .

والوسوسة :الإلقاء الخفي في القلب، وهذا مشترك بين الجن والإنس كما قال سبحانه :(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون[236])

فشياطين الإنس والجن يشتركون في الوحي الشيطاني، ويشتركون كذلك في الوسوسة، ويشتركون كذلك في الفساد والإفساد[237] .

مفسدات القلب :

للإنسان في نفسه كمائنُ لا يَعلَمُها إلا الله، وهذه الكمائن كثيرة؛ فقد تكون شِركًا بالله – نسأل الله العافية – وقد تكون رياءً؛ فالإنسان يحبُّ الرياء، وأن يراه الناس على عملٍ صالح، وقد تكون حسدًا لعباد الله وهو مِن خصال اليهود، وقد تكون كراهةَ أن يَنتصر دينُ الله عز وجل، أو أن ينتصر أولياءُ الله، وقد تكون بإيثار الدنيا على الآخرة، وقد تكون بإيثار الأولاد والأزواج على الآخرة؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ[238]﴾ ، وقد تكون بكراهة الحق وتثاقُلِه، وقد تكون بالعداوة والبَغضاء للمؤمنين، وغير ذلك مما لا يُحصى ، بأسباب فساد القلب وقسوته ، فالقلب لا يزيغ إلا لسببٍ، يكون في القلب عِرقٌ خبيثٌ خفيٌّ، هو يرى أنه مُهتدٍ وماشٍ على الهداية، لكن في قلبه هذا الشيء الذي يَظَلُّ يزيد، حتى يزيغ قلبه نهائيًّا؛ قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ[239]﴾

وقد يكون في قلب الإنسان حسدٌ يَحسُدُ الإنسانَ حتى في إقامة دين الله عز وجل، يعني لو حسدتَ إنسانًا على إقامة دين الله عز وجل، وتعليم عباد الله عز وجل معناه أنك لا تتمنى أن الشرع لا يقوم، وأن الناس لا يعلمون، فهذا أمر خطير جدًّا، والحسد داءٌ عظيمٌ، وهو من أخلاق اليهود؛ قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ[240]﴾ ، هذه النقطة قد تكون في القلب والإنسان لا يَشعُر بها، وتكون سببًا لضلاله النهائي وزيغه ، فتغيُّرات القلب تغيُّرات سريعة وعجيبة، ربما ينتقل مِن كُفرٍ إلى إيمان، أو مِن إيمان إلى كفرٍ في لحظة، تغيُّر القلب يكون على حسب ما يُحيطُ بالإنسان، وأكثر ما يُوجبُ تغيُّر القلب إلى الفساد: حبُّ الدنيا، وهذه آفةٌ، والعجب أننا متعلقون بها، ونحن نعلم أنها متاعُ الغرور، وأن الإنسان إذا سُرَّ يومًا أُسيءَ يومًا آخرَ.

وقسوةُ القلب أسبابُها كثيرة؛ منها: الإعراض عن ذِكر الله، وكون الإنسان لا يذكرُ الله إلا قليلًا، تَجدُهُ حتى في الصلاة المفروضة لا يَذكُرُ الله بقلبه، يقرأُ، ويركع، ويَسجُد، ويُسبحُ، ويدعو والقلب غافلٌ، فهذه من أسباب القسوة.

---

[236]القرآن . الأنعام 6 : 112 .

[237]التويجري . مصدر سابق . ج 2 . ص 1363 .

[238]القرآن . المنافقون 63 : 9 .

[239]القرآن . الصف 61 : 5 .

[240]القرآن . النساء 4 : 54 .

ومن أسباب قسوة القلب أيضًا: كثرةُ المزاح واللعب والتلهّي بالأصدقاء والأهل؛ ولهذا قال بعض الصحابة للنبي عليه الصلاة والسلام: إننا إذا كُنَّا عندك، فإننا نَخشَعُ حتى كأننا نُشاهد الجنة والنار، وإذا ذهَبنا عافَسنا الأهل والأولاد، نسينا ، قال : (ساعة وساعة) ،

ومن أسباب قسوة القلب أيضًا: الانكبابُ على الدنيا وتفضيلها على الآخرة، وألا يكون همُّ الإنسان إلا جمعَ المال.. يقول الله عز وجل: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً[241]﴾ ، فالمعاصي سببٌ لقسوة القلب، وإن قسوة القلب التي حدَثت اليوم في كثير من المسلمين، لهي من أعظم العقوبات، ولكننا لا نشعُر بها . (في قلوبهم مرض ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وقالوا قلوبنا في أكنة ، أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من العالمين ، ختم الله على قلوبهم ، ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ، و إن للقلب مفسدات إذا وجدت فيه أوردته المهالك وجعلته يعيش في شقاء وتعاسة وتحول بينه وبين القلب و عَائِقَةٌ لَهُ عَنْ سَيْرِهِ، وَمُحْدِثَةٌ لَهُ أَمْرَاضًا وَعِلَلًا إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهَا الْمَرِيضُ خِيفَ عَلَيْهِ مِنْهَا ، ومن هذه المفسدات كالآتي

أولا : فضول الكلام :

اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فإنه صغير جرمُهُ عظيم طاعته وجُرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ، ومن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هارٍ إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ في صحيحي الترمذي وابن ماجه : (.... ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ كف عليك هذا ـ وأشار إلى لسانه ـ قال يا نبي الله و إنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال :ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ، والمراد بحصائد الألسنة : جزاء الكلام المحرم وعقوباته فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع ، فمن ذلك قوله تعالى (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ[242]) ، و أورد ابن حبان رحمه الله تعالى في روضة العقلاء عن الفضيل بن عياض يقول شيئان يقسيان القلب كثرة الكلام وكثرة الأكل ، فاللسان آفاته كثيرة من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات[243] .

ثانيا : فضول النظر :

---

[241]القرآن . المائدة 5 : 13 .

[242]القرآن . ق 50 : 18 .

[243]محمد نصر الدين محمد عويضة . كتاب فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب . ج 8 . ص 838 .

فضول النظر :هو إطلاقه بالنظر إلى الشيء بملء العين، والنظر إلى ما لا يحل النظر إليه وهو على العكس من غض البصر ، وفضول النظر يدعو إلى الاستحسان، ووقوع صور المنظور فى قلب الناظر، فيحدث أنواعاً من الفساد فى قلب العبد منها ما يلي:

منها :أن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غضّ بصره لله أورثه حلاوة يجدها فى قلبه إلى يوم يلقاه.

ومنها :دخول الشيطان مع النظرة، فإنه ينفذ معها أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي، ليزين صورة المنظور، ويجعلها صنماً يعكف عليه القلبُ ، ثم يعده ويمنيه، ويوقد على القلب نار الشهوات ويلقى حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة ،

ومنها :أنه يشغل القلب، وينسيه مصالحه، ويحول بينه وبينها، فينفرط عليه أمره، ويقع في اتباع الهوى والغفلة.

قال الله تعالى (وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا[244])

وإطلاق البصر معصية لله عز وجل وأيضا يلبس القلب ظلمة ، ويعمى القلب عن التمييز بين الحق والباطل، والسنة والبدعة[245] .

ثالثا : فضول الطعام :

من مفسدات القلب كثرةُ الطعامِ، والمفسدُ له من ذلك نوعان :أحدُهما ما يُفسده لعينهِ وذاته كالمحرمات كالميتةِ والدم ولحم الخنزير، والمسروق والمغصوب ونحوها ، والثاني ما يُفسده بقدره وتعدي حدِّه كالإسرافِ في الحلالِ والشبعِ المفرطِ، فإنه يُثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولةِ مؤنةِ البطنةِ حتى يظفر بها، فإذا ظفر بها شغله بمزاولةِ تصرفها ووقايةِ ضررها، وقوى عليه موادَّ الشهوة، ووسع مجاري الشيطان، وقد قيل :من أكل كثيرًا، شربَ كثيرًا، فنام كثيرًا، فخسر كثيرًا[246]،

فكثرة الطعام تسبب قسوة القلب وفضول الطعام داع إلى أنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي، ويثقلها عن الطاعات والعبادات، وحسبك بهذين شراً، فكم من معصية جلبها الشبعُ وفضولُ الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وقى شرّ بطنه فقد وقى شراً عظيماً، والشيطان أعظم ما يتحكم في الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام .

رابعا : كثرة المخالطة :

هي الداء العضال الجالب لكل شر، وكم سَلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسياتُ وهى في القلوب لا تزول، ففي فضول المخالطة خسارة الدنيا والآخرة ، أخرج الحافظ أبو نعيمٍ في حلية الأولياء عن شقيق البلخي قال: اصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها واحذر أن تحرقك ، فيوجد

---

[244]القرآن . الكهف 18 : 28 .

[245]محمد نصر الدين محمد عويضة . مصدر سابق . ج 8 . ص 842 ـ 843 .

[246]ابن القيم . مصدر سابق . ج 1 . ص 456 .

من كانت مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه، فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن، وهو من لا تربح عليه دين ولا دنيا، ومع ذلك فلا بد أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت منك مخالطته واتصلت فهى مرضُ الموت المخوف، ومنهم الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعها فى منزلتها ، وأيضا من كانت مخالطته الهلاك كله فهي بمنزلة أكل السم ، والآثار السيئة لكثرة الخلطة هي أن امتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتى يسود، ويوجب له تشتتا وتفرقا وهما وغما، وضعفا، وحملا لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسم فكره في أودية مطالبهم وإراداتهم ، وأيضا كم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية. وهل آفة الناس إلا الناس؟ ، وهذه الخلطة التي تكون على نوع مودة في الدنيا، وقضاء وطر بعضهم من بعض، تنقلب إذا حقت الحقائق عداوة، ويعض المخلط عليها يديه ندما، كما قال تعالى :وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً (28)لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي]الفرقان:27 – 29 [وقال تعالى: الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ]الزخرف:67[، وقال خليله إبراهيم لقومه :إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ]العنكبوت:25[، وهذا شأن كل مشتركين في غرضك يتوادون ما داموا متساعدين على حصوله، فإذا انقطع ذلك الغرض، أعقب ندامة وحزناً وألماً وانقلبت تلك المودة بغضاً ولعنة، وذماً من بعضهم لبعض[247] .

خامسا : كثرة النوم

كثرة النوم تميت القلب، ويثقل البدن، ويضيع الوقت، ويورث كثرة الغفلة والكسل. ومنه المكروه جدا، ومنه الضار غير النافع للبدن ، فالنوم الذي لا ينفع هو النوم أول الليل عقيب غروب الشمس حتى تذهب فحمة العشاء. وكان رسول الله يكرهه. فهو مكروه شرعا ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح : هذه الكراهة مخصوصة بما إذا لم يكن في أمر مطلوب وقيل الحكمة فيه لئلا يكون سببا في ترك قيام الليل أو للاستغراق في الحديث ثم يستغرق في النوم فيخرج وقت الصبح[248] .

سادسا : ركوب بحر التمني

وهو بحر لا ساحل له. وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم، كما قيل :إن المنى رأس أموال المفاليس. فلا تزال أمواج الأماني الكاذبة، والخيالات الباطلة، تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة، وهي بضاعة كل نفس مهينة خسيسة سفلية، ليست لها همة تنال بها الحقائق الخارجية، بل اعتاضت عنها بالأماني الذهنية[249] .

[247]ابن القيم . مدارج السالكين . ج 1 . ص 453 .

[248]ابن القيم . مصدر سابق . ج 1 . ص 457 .

[249]ابن القيم . مصدر سابق . ج 1 . ص 454 .

سابعا : التعلق بغير الله

وهذا أعظم مفسدات القلب على الإطلاق ، فليس عليه أضر من ذلك، ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه، فإنه إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به. وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل بتعلقه بغيره، والتفاته إلى سواه. فلا على نصيبه من الله حصل، ولا إلى ما أمله ممن تعلق به وصل ، فأعظم الناس خذلانا من تعلق بغير الله. فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات .ومثل المتعلق بغير الله :كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت، أوهن البيوت ، (وإن أوهن البيوت العنكبوت لو كانوا يعلمون[250])، وكيف لا يكون ذلك كذلك وأساسُ الشركِ وقاعدتهُ التي بُنيَ عليها التعلقُ بغيرِ الله، ولصاحبه الذمُّ والخذلان[251]، كما قال تعالى (لا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا مخذولًا[252])

وقد قال سيد قطب بأن القلب واحد، فلا بد له من منهج واحد يسير عليه. ولا بد له من تصوّر كلي واحد للحياة وللوجود يستمد منه. ولا بد له من ميزان واحد يزن به القيم، ويقوّم به الأحداث والأشياء. وإلا تمزّق وتفرّق ونافق والتوى، ولم يستقم على اتجاه ، ولا يملك الإنسان أن يستمد آدابه وأخلاقه من معين؛ ويستمد شرائعه وقوانينه من معين آخر؛ ويستمد أوضاعه الاجتماعية أو الاقتصادية من معين ثالث؛ ويستمد فنونه وتصوّراته من معين رابع .. فهذا الخليط لا يكوّن إنسانا له قلب. إنما يكوّن مزقا وأشلاء ليس لها قوام ، فالقلب الواحد لا يعبد إلهين ، ولا يخدم سيدين ، ولا ينهج نهجين ، ولا يتجه اتجاهين ، وما يفعل شيئا من هذا إلا أن يتمزق ويتفرق ويتحول إلى أشلاء وركام . (سيد قطب ص 2823) ولهذا ذكر بأن من مفسدات القلب اتباع الشبهات فالذين في قلوبهم زيغ وانحراف وضلال عن سواء الفطرة فيتركون الأصول الواضحة الدقيقة التي تقوم عليها العقيدة والشريعة والمنهاج العملي للحياة ، ويجرون وراء المتشابه الذي يعوّل في تصديقه على الإيمان بصدق مصدره ، والتسليم بأنه هو الذي يعلم الحق كله ، بينما الإدراك البشري نسبي محدود المجال ،كما يعول فيه على استقامة الفطرة التي تدرك بالإلهام المباشر صدق هذا الكتاب كله ، وأنه نزل بالحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويجرون وراء المتشابه لأنهم يجدون فيه مجالا لإيقاع الفتنة بالتأويلات المزلزلة للعقيدة ، والإختلافات التي تنشأ عن بلبلة الفكر نتيجة إقحامه فيما لا مجال للفكر في تأويله[253] (وما يعلم تأويله إلا الله[254]) .

---

[250]القرآن . العنكبوت 29 : 41 .

[251]ابن القيم . مصدر سابق . ج 1 . ص 455 .

[252]القرآن . الإسراء 17 : 22 .

[253]سيد قطب . مصدر سابق . ص 369 .

[254]القرآن . آل عمران 3 : 7 .

وأيضا جعل الغفلة وكثرة المعاصي من مفسدات القلب حيث قال عند تفسيره لهذه الآية : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون[255]) أي غطى على قلوبهم ما كانوا يكسبونه من الإثم والمعصية والقلب الذي يمرد على المعصية ينطمس ويظلم ويرين عليه غطاء كثيف يحجب النور عنه ويحجبه عن النور ويفقده الحساسية شيئا فشيئا حتى يتبلد ويموت ، ولقد حجبت قلوبهم المعاصي والآثام حجبتها عن الإحساس بربها في الدنيا ، وطمستها حتى أظلمت وعميت في الحياة[256].

ففي طبيعتهم آفة وفي قلوبهم علة وهذا ما يحيد بهم عن الطريق الواضح المستقيم،[257] فالله قد قيض لهم بما اطلع على فساد قلوبهم قرناء سوء من الجن والإنس يزينون لهم السوء وينتهون بهم إلى مواكب الذين كتب عليهم الخسران ، وحقت عليهم كلمة العذاب ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ[258]﴾ فلينظروا كيف هم في قبضة الله الذي يستكبرون عن عبادته ، وكيف أن قلوبهم التي بين جنوبهم تقودهم إلى العذاب والخسارة وقد قيض الله وأحضر قرناء يوسوسون لهم ، ويزينون لهم كل ما حولهم من السوء ، ويحسنون لهم أعمالهم فلا يشعرون بما فيها من قبح ، وأشد ما يصيب الإنسان أن يفقد إحساسه بقبح فعله وانحرافه ، وأن يرى كل شيء من شخصه حسنا ومن فعله فهذه هي المهلكة وهذا هو المنحدر الذي ينتهي دائما بالبوار[259]، فهم لم يفتحوا القلوب التي أعطوها ليفقهوا ، ولم يفتحوا أعينهم ليبصروا آيات الله الكونية ، ولم يفتحوا آذانهم ليسمعوا آيات الله المتلوة ، لقد عطلوا هذه الأجهزة التي وهبوها ولم يستخدموها وقد عاشوا غافلين لا يتدبرون فهم كالأنعام بل هم أضل ، فالذين يغفلون عما حولهم من آيات الله في الكون وفي الحياة ، والذين يغفلون عما يمر بهم من الأحداث فلا يرون فيها يد الله أولئك كالأنعام بل هم أضل ، فللأنعام استعدادات فطرية تهديها ، أما الجن والإنس فقد زودوا بالقلب الواعي والعين المبصرة والأذن الملتقطة ، فإذا لم يفتحوا قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم ليدركوا ، إذا مروا بالحياة غافلين لا تلتقط قلوبهم معانيها وغاياتها ، ولا تلتقط أعينهم مشاهدها ودلالاتها ، ولا تلتقط آذانهم إيقاعاتها وإيحاءاتها ، فإنهم يكونون أضل من الأنعام الموكولة إلى استعداداتها الفطرية الهادية[260].

وكذلك جعل سعيد حوى من مفسدات القلب تتبع الشبهات وذكر بأن المنحرفون، الضالون، الزائغون، يتركون المحكم، ويتبعون المتشابه، تعمدا منهم، لأنهم يستطيعون أن يحرفوا المتشابه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما

---

[255] القرآن . المطففين 83 : 14 .

[256] سيد قطب . مصدر سابق . ص 3858 .

[257] المصدر السابق . ص 43 .

[258] القرآن . فصلت 41 : 25 .

[259] سيد قطب . مصدر سابق . ص 3120 .

[260] المصدر السابق . ص 1401 .

يصرفونه إليه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه، لأنه دافع لهم، وحجة عليهم، وإنما يفعلون ذلك من أجل تضليل الناس، ومن أجل حمل القرآن على أهوائهم، فيفسرونه بالهوى لا بالعلم وذلك بسبب فساد قلوبهم[261].

وأيضا ذكر بأن النفاق فساد في القلب وذلك بأن أهله يكذبون في ادعائهم الإيمان بالله واليوم الآخر، وأن علة ذلك هي الخداع وأن سبب ذلك مرض القلب[262]، والمرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض إسما لكل فساد[263].

ونقل كلام لابن جرير بأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر عنها مخلص، فذلك هو الختم والطبع الذي ذكر في قوله تعالى :خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ نظير الختم والطبع على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحل رباطه ، فإذا علم الإنسان هذا وفهم قوله تعالى فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وما أشبه ذلك من الآيات، أدرك أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق[264]، فالنفاق مرض في القلب يصيب الإنسان كما يصيبه الكفر أو الحسد أو الحقد أو الغل أو الكبر، وأنّ المظهر الرئيسي لهذا المرض هو الولاء للكافرين والمنافقين، هذا الولاء يكون خفيا أحيانا، ويكون ظاهريا أحيانا، ويكون بشكل ويكون بآخر على حسب الأحوال[265].

وأيضا من مفسدات القلب اطلاق البصر وعدم غضه فتورثه سكر القلب بل جنونه[266] (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون[267]) .

علاج الشقاء في ضوء القرآن والسنة

إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، تماشيا لفطرة البشر، حافظًا لتغيرات الحياة مواكبًا للتقدم والحضارة، علاجاً مشكلات الأمم في جميع جوانبها؛ ولكن كثيراً من الناس قد ضلوا عن هذا الطريق الحق، وآخرون قاموا بتضليل غيرهم، وهذا هو سبب شقاء الكثير من الأفراد والمجتمعات؛ فقد بين الله سبحانه وتعالى لمن تبع هديه ولزم شرعه سعادة الدارين، وخفض أهل الشقاء والذل والصغار على من أعرض وتكبر عنه. ولذا سندرس هذا الفصل علاج الشقاء ودور الدعاة في إرشاد الأشقياء

[261]سعيد حوى . مصدر سابق . ج 2 . ص 703 .

[262]المصدر السابق . ج 1 . ص 67 .

[263]المصدر السابق . ج 1 . ص 71 .

[264]المصدر السابق . ج 1 . ص 82 .

[265]المصدر السابق . ج 3 . ص 1429 .

[266]المصدر السابق . ج 7 . ص 3749 .

[267]القرآن . الحجر 15 . 72 .

من خلال المقارنة بين التفسيرين في ظلال القرآن لسيد قطب والأساس في التفسير لسعيد حوّى، وينقسم هذا الفصل مبحثين: المبحث الأول: علاج الشقاء، المطلب الأول: الإيمان بالله والاستقامة، المطلب الثاني: التوبة إلى الله تعالى، المطلب الثالث: تطبيق الشريعة الإسلامية، المبحث الثاني: دور الدعاة في إرشاد الأشقياء، المطلب الأول: تبليغ الدعوة إلى الله، المطلب الثاني: طلب العلم، المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

1 أساليب علاج الشقاء

إن كلمة الشقاء حين نسمعها تلقي في النفس بظلال الشؤم والحرمان والطرد والإبعاد، والشقي يعيش منبوذاً يتجنبه الناس مخافة شره وشؤم مخالطته. إن الشقي يرتكب من الذنوب والمعاصي ما يُحرم معهما التوفيق في دنياه، فلا تجده يعيش إلا "مَعيشة ضنكاً"، ويُحرم معهما الهداية، ويختم له بسوء العاقبة وسوء المنقلب وبئس المصير. والشقي يُسرف على نفسه في ارتكاب المعاصي فتراه لا يستمع لنصيحة الناصحين، ولا يرتدع من تهديد ووعيد رب العالمين، حتى ينتهي أجله وهو على هذه الحالة فيكون من الخاسرين[268]. ولذا سندرس هذا المبحث من خلال التطرق أساليب علاج الشقاء، ومن هذه الأساليب :

1 الإيمان بالله والاستقامة : الإيمان معناه أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره هذا ما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم جريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان في حديث عمر رضي الله عنه. والإيمان هو الركن الأساس في حياة الإنسان المؤمن فهو الأساس الذي يرتكز عليه كل أفعال الخير، والجزاء والثواب في الآخرة مبني على حقيقة الإيمان وصحته، فإن صح الإيمان صح كل شيء ونال الأجر وإن فسد الإيمان فسد كل شيء وخسر الأجر[269].

الإيمان بالله فوائده وثمراته

وننظر في الإسلام، فنرى أن الإيمان بالله الذي يملأ قلب المسلم منذ الصغر يكسبه مناعة من الإصابة بالأمراض النفسية: فلا يكون بحاجة إلى هذا أو ذلك من العلاج النفسي. والقرآن الكريم يشير بكل صراحة إلى أن الإيمان الصحيح بالله يبعث (الأمن) و (الطمأنينة) و (السكون) في نفس المؤمن، يقول الله عز وجل:

﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾. [الأنعام: 82]. بين الله تعالى في هذه الآية من هو الحقيق بالأمن على سبيل التفصيل فقال: الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئًا، ولم يخلطوا إيمانهم بظلم، ولا كفر، ولا شرك بالله، فهؤلاء هم الآمنون يوم القيامة من الخلود في العذاب، وأولئك هم المهتدون في الدنيا

[268] https://basaer-online.com/

[269] البغدادي، علي محمد. 2011م. *عوامل فلاح الأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم*. رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة. ص: 9.

والآخرة[270]. يقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن: الذين آمنوا وأخلصوا أنفسهم لله، لا يخلطون بهذا الإيمان شركًا في عبادة ولا طاعة ولا اتجاه. هؤلاء لهم الأمن، وهؤلاء هم المهتدون[271]. جاء في الأساس في التفسير سعيد حَوَّى رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾. أي: ولم يخلطوا إيمانهم بشرك، فالظلم هنا الشرك. ﴿**أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾. ومن أجل أن يتحرر الإنسان من كل مظهر من مظاهر الشرك لا بد له من علم وذكر، ولا بد له من معرفة بالله عقلية وقلبية ، ومعرفة بشريعته والتزام بها[272].

﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾. [الرعد: 28]. يقول سعيد حَوَّى رحمه الله في الأساس في التفسير: لقد وصف الله عزوجل من يستحق هدايته بأنه من أناب أي رجع إلى الله واستعان به وتضرع إليه ، ثم وصف هؤلاء فقال: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ**﴾ كالتسبيح والتهليل والاستغفار أو بالقرآن ، فقلوبهم تطيب وتركن إلى جانب الله ، وتسكن عند ذكره ، وترضى به مولى ونصيرًا ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ أي بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين[273]. بينما يقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ أي تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه؛ تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق، بإدراك الحكمة في الخلق والمبدإ والمصير، وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضر ومن كل شر إلا بما يشاء، مع الرضا بالابتلاء والصبر على البلاء، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة. ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله، ويستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس أنه في هذا الوجود ليس مفردا بلا أنيس، فكل ما حوله صديق، إذ كل ما حوله من صنع الله الذي هو في حماه. هؤلاء المنيبون إلى الله، المطمئنون بذكر الله، يحسن الله مآبهم عنده، كما أحسنوا الإنابة إليه وكما أحسنوا العمل في الحياة[274].

واطمئنان النفس مصدره الإيمان بالله واليوم الأخر. وليس المراد به استسلام النفس أو استكانتها، أو هربها من الحياة، وإنما المراد به: الرضى بما يقع بعد أن يأخذ بالأسباب، وهكذا يشعر المؤمن بالسعادة الحقيقية إذا كان قلبه عامرة بالإيمان الخالص من الشوائب الذي لا يكدره مكدر. يقول العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله: في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه،

---

[270]حومدي، أسعد محمود. 2009م. *أيسر التفاسير*. بيروت: دار القلم الشامية. ج1. ط4. ص: 872.

[271]سيد قطب. 2013م. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق. ج2. ص: 1139.

[272]سعيد حوّى. 2004م. *الأساس في التفسير*. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ط6. ج3. ص: 424.

[273]المصدر السابق.

[274] سيد قطب. 2013م. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق. ج4. ص: 2060.

وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره وصدق الإخلاص اله، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا[275].

مفهوم الاستقامة

مفهوم الاستقامة بمعنى: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر، وقال تعالى: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾ معنى قوله: استقاموا: عملوا بطاعته، ولزموا سنة نبيه. وقال الأسود بن مالك: ثم استقاموا: لم يشركوا به شيئا، وقال قتادة: استقاموا على طاعة الله. وجاء في مفردات القرآن أن الاستقامة قال في الطريق الذي يكون علي خط مستو وبه شُبِّه طريق المحق: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ واستقامة الإنسان: لزومه المنهج المستقيم، نحو قوله تعالى: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾ وإقامة الشيء: توفية حقه. ولم يأمر الله سبحانه وتعالى بالصلاة إلا بلفظ الإقامة؛ تنبيها أن المقصود منها: توفية شرائطها لا الإتيان بهيئاتها، نحو: ﴿**أقيموا الصلاة**﴾. الخلاصة: يتضح لنا مما سبق أن معنى كلمة الاستقامة، وما يدور في معناها وردت بعدة معان منها: الاعتدال، والاستواء، والتوجه إلى الله، والعمل بطاعته، ولزوم سنة نبيه، ترك الشرك بالله[276].

حقيقة الاستقامة لزوم المنهج القويم والصراط المستقيم

إن موضوع الاستقامة، وهو موضوع عظيم الأهمية جليل القدر، وحقيق بكل واحد منّا أن يُعنى به، وأن يُعطيه من اهتمامه وعنايته؛ فالاستقامة يترتب عليها سعادة الدنيا والآخرة، وفلاح العبد وصلاح أمره كله؛ فحقيق بالناصح لنفسه الراغب في سعادتها أن يعنى بالاستقامة عظيم العناية علمًا وعملًا، وثباتًا على ذلك إلى الممات، مستمدًا العون من الله تبارك وتعالى. وكثيرًا ما تَرِدُ الأسئلة من الناس على أهل العلم وطلّابه والدعاة إلى الله عزّ وجلّ والمصلحين عن الاستقامة، وعن حقيقتها، وعن الأمور المعينة على الثبات على صراط الله المستقيم إلى غير ذلك. ونسترشد في معرفة حقيقة الاستقامة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان في بيان معناها وتوضيح حقيقتها[277]. وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بالاستقامة، وتحث عليها، فقال تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾، [هود: 112]. يقول سعيد حَوَّى رحمه الله في الأساس في التفسير: ﴿**فَاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ**﴾ أي فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها غير عادل عنها ﴿**وَمَنْ تابَ مَعَكَ**﴾ أي وليستقم من تاب معك بأن رجع إلى الله مخلصا. ﴿**وَلا تَطْغَوْا**﴾ أي ولا تخرجوا عن حدود الله ﴿**إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ لا يغفل عن شيء ، ولا يخفى عليه شيء، فهو مجازيكم فقفوا عند حدوده[278]. فقد بين سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن **الاستقامة** في الآية: الاعتدال والمضي على النهج دون انحراف. وهو في حاجة إلى اليقظة

[275]إبراهيم النعمة. ٢٠٠٠م. *العلاج النفسي في القرآن الكريم*. الأردن: دار المامون للنشر والتوزيع. ص: 15.

[276]جمعة، محمد عبدالمولى. 2004م. من توجيهات القران الكريم للدعاة. د. ط. ص: 14.

[277]البدري، عبد الرزاق بن عبد المحسن. 2015م. *عشرة قواعد في الاستقامة*. القاهرة: مؤسسة الجليمي للنشر والتوزيع. ط1. ص: 9.

[278]سعيد حوّى. 2004م. *الأساس في التفسير*. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ط6. ج3. ص: 424.

الدائمة، والتدبر الدائم، والتحري الدائم لحدود الطريق، وضبط الانفعالات البشرية التي تميل الاتجاه قليلًا أو كثيرًا. ومن ثمّ فهي شغل دائم في كل حركة من حركات الحياة. وإنه لما يستحق الانتباه هنا أن النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة، لم يكن نهيا عن القصور والتقصير، إنما كان نهيا عن الطغيان والمجاوزة. وذلك أن الأمر بالاستقامة وما يتبعه في الضمير من يقظة وتحرج قد ينتهي إلى الغلو والمبالغة التي تحول هذا الدين من يسر إلى عسر. والله يريد دينه كما أنزله، ويريد الاستقامة على ما أمر دون إفراط ولا غلو، فالإفراط والغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالتفريط والتقصير. وهي التفاتة ذات قيمة كبيرة، لإمساك النفوس على الصراط، بلا انحراف إلى الغلو أو الإهمال على السواء[279].

أصل الاستقامة استقامة القلب

وأصل الاستقامة في القلب، فيستقيم القلب على الإيمان؛ حبًّا لله عزّ وجلّ، وخوفًا، ورجاء، وتوكلًا، وإنابة، وشوقًا إلي الله عزّ وجلّ، وزهدًا في الدنيا، ورغبة في ما عند الله، وشكرًا لنعمه، وصبرًا على بلائه، ورضًا بقضائه. فاستقامة القلب على الإيمان هي أصل الاستقامة التي أمر الله عزّ وجلّ بها، وهو الذي يتفرع عليه بعد ذلك أنواعها، ولذلك؛ فلا بد أن يكون المؤمن مهتمًا بحال قلبه وبها يَرِدُ مفتشًا فيما يقع في نفسه من خواطر، وإرادات، وعزائم؛ ينظر فيها مستبصرًا[280]. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾، [فصلت: 30]. يقول سعيد حَوَّى رحمه الله في الأساس في التفسير: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ**﴾ فاعترفوا لله بالربوبية، وعلى أنفسهم بالعبودية ﴿**ثُمَّ اسْتَقامُوا**﴾ على أمر الله فلم ينحرفوا يمينا أو شمالا. أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله على ما شرع الله لهم. نطقوا بالتوحيد، ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته ﴿**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ**﴾ عند الموت قائلين ﴿**أَلَّا تَخافُوا**﴾ قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم: أي: ممّا تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿**وَلا تَحْزَنُوا**﴾ على ما خلّفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإنا نخلفكم فيه. قال النسفي: فالخوف: غمّ يلحق الإنسان لتوقّع المكروه، والحزن: غمّ يلحقه لما يتوقعه من فوات نافع، أو حصول ضار ، والمعنى: أن الله كتب لكم الأمن من كلّ غمّ فلن تذوقوه ﴿**وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ أي: في الدنيا[281]. قال سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن في تفسير ﴿**رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ فقال: وهؤلاء تتنزل عليهم الملائكة لا قرناء السوء يطمئنونهم ويبشرونهم ويعلنون ولايتهم لهم في الدنيا والآخرة[282].

---

[279]سيد قطب. 2013م. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق. ج4. ص: 1932.

[280]برهامي، ياسر. 2008م. الاستقامة. الإسكندرية: دار الخلفاء الراشدين. د.ط. ص:5.

[281]سعيد حوّى. 2004م. *الأساس في التفسير*. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ط6. ج3. ص: 424.

[282]سيد قطب. 2013م. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق. ج5. ص: 3103.

2 التوبة إلى الله تعالى : وأصل التوبة في اللغة: هو الرجوع، يقال: تاب، وأناب وآب، والكل معنى رجع. ومعناها في الاصطلاح الشرعي: الرجوع عن الذنب، يقال: تاب إلى الله يتوب توبا وتوبة ومتابا، أي: ورجع عن المعصية إلى الطاعة. وعلى هذا يقول الله عزّ وجلّ: ﴿**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِه وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ**﴾. [المائدة : 39] أي: فإن الله يتجاوز عنه[283]. ولقد يسر الله أمر التوبة، وفتح أبوابها لمن أرادها. فهو عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل. وباب التوبة مفتوح للكفار والمشركين والمرتدين والمنافقين والظالمين والعصاة والمقصرين. التوبة إلى الله جل وعلا من أجل العبادات وأحبها إليه، ومن أوسع الطرق إلى رحمته وجنته وعطائه، ورضوانه؛ لأنها توجب الذل والخضوع والانكسار بين يدي الله سبحانه، والاعتراف بالذنب والتقصير في جنب الرب تبارك وتعالى، ففيها تظهر ملامح العبودية في أسمى صورها، وبما ينزل الإنسان منزلته التي خلقه الله عليها من النقص والضعف والتفريط والخطأ والجهل والظلم فهي اعتراف بنقص العقل وضعف النفس وإقرار بالكمال لله وحده لا شريك له. أن التوبة من الذنوب هي حياة النفوس والقلوب، بل هي طريق السعادة. وإن الله عز وجل يفرح بتوبة عبده فرحا أكيدا ويقبل منه أعذاره وانكساره، ويكره له تماديه وإصراره[284]. قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾. [الشورى: 25]. قال ابن القيم عن التوبة: هي الندم على ما سلف من العبد في الماضي، والإقلاع عنه في الحال والعزم أن لا يعاوده في المستقبل فإن كان هناك حق لآدمي فلابد من أدائه أو التحلل منه. وقال عبد الله بن المبارك: هي الندم والعزم على عدم العودة، ورد المظالم وأداء ما ضيع من فرائض، وأن يعمد إلى جسده الذي رباه بالسحت فيذيبه بالهم والحزن حتى ينبت له لحم طيب، وأن يذيق نفسه ألم الطاعة كما أذاقها لذة المعصية. وقال الإمام الغزالي: التوبة هي الرجوع عن الطريق المبعد عن الله، والمقرب إلى الشيطان[285].

و للتوبة فضائل جمة، وأسرار بديعة، وفوائد متعددة، وبركات متنوعة؛ فمن ذلك ما يلي:

١- أن التوبة سبب الفلاح، والفوز بسعادة الدارين: قال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾. [النور:31]. يقول سعيد حَوَّى رحمه الله في الأساس في التفسير: قال النسفي: (العبد لا يخلو عن سهو وتقصير في أوامره ونواهيه وإن اجتهد، فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة، وبتأميل الفلاح إذا تابوا، وقيل أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس له حاجة إلى التوبة، وظاهر الآية يدل على أن العصيان لا ينافي الإيمان) وقال ابن كثير : (أي افعلوا ما أمركم من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة، فإن الفلاح كل الفلاح

---

[283]الفرماوي، عبد الحي 2008 .م .*طريق السعادة التوبة إلى الله تعالى* .القاهرة :دار البشير للثقافة والعلوم . ص: 8.

[284]حقي، مصطفى شيخ إبراهيم. 2007م. *التوبة من المعاصي والذنوب*. رياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع. ط1. ص: 9.

[285]طه عبد الرءوف سعد، سامى حسنى عبد العزيز. *التوبة والرجوع من الضلال إلى الهدى*. القاهرة :مكتبة العلم الإسلامية. ط1: ٢٠٠٩م . ص: 5.

في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهيا عنه)[286]. بينما يقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن: يرد القلوب كلها إلى الله ويفتح لها باب التوبة؛ بذلك يثير الحساسية برقابة الله، وعطفه ورعايته، وعونه للبشر في ضعفهم أمام ذلك الميل الفطري العميق، الذي لا يضبطه مثل الشعور بالله، وبتقواه[287].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بالله : « فالقلب لا يصلح، ولا يفلح، ولا يتلذذ، ولا يسر، ولا يطيب ، ولا يسكن ، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه ، والإنابة إليه»[288].

٢- بالتوبة تكفر السيئات: فإذا تاب العبد توبة نصوحا كفر الله بها جميع ذنوبه وخطاياه. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾. [التحريم:8]. يقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن: توبة عن الذنب والمعصية، تبدأ بالندم على ما كان، وتنتهي بالعمل الصالح والطاعة، فهي عندئذ تنصح القلب فتخلصه من رواسب المعاصي وعكارها؛ وتحضه على العمل الصالح بعدها. فهذه هي التوبة النصوح. التوبة التي تظل تذكر القلب بعدها وتنصحه فلا يعود إلى الذنوب. فإذا كانت هذه التوبة فهي مرجوة إذن في أن يكفر الله بها السيئات. وأن يدخلهم الجنات[289].

يقول سعيد حَوَّى رحمه الله في الأساس في التفسير: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا**﴾ أي: صادقة أو خالصة، قال النسفي: أي : توبة ترفو خروقك في دينك، وترم خللك، ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي: تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها، واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها، وقال ابن كثير: أي : توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفر عما كان يتعاطاه من الدناءات ﴿**عَسى رَبُّكُمْ**﴾ قال ابن كثير: (وعسى من الله موجبة) ولذا قالوا: لم يزل الملوك والرؤساء والأمراء يجيبون بعسى، ولعل، ويقع منهم ذلك ـ عادة ـ موقع القطع والبت، فكيف لا تكون (عسى) من ملك الملوك موجبة، ومن ثم فتكفير السيئات بالتوبة النصوح محقق ﴿**أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ**﴾ أي: بمحوها ﴿**وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ**﴾ وذلك إن تبتم توبة نصوحا[290].

٣- بالتوبة تبدل السيئات حسنات: فإذا حسنت التوبة بدل الله سيئات صاحبها حسنات، قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾. [الفرقان:70]. يقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن: ثم يفتح باب التوبة لمن أراد أن ينجو من هذا المصير المسيء بالتوبة والإيمان الصحيح والعمل

---

[286]سعيد حوّى. 2004م. *الأساس في التفسير*. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ط6. ج7. ص: 493.

[287]سيد قطب. 2013م. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق. ج3. ص: 2511.

[288]الحمدي، محمد بن إبراهيم. 2008م. الطريق إلى التوبة. رياض: دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع. ط2. ص: 8.

[289]سيد قطب. 2013م. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق. ج6. ص: 3617.

[290]سعيد حوّى. 2004م. *الأساس في التفسير*. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ط6. ج10. ص: 516.

الصالح: إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ويعد التائبين المؤمنين العاملين أن يبدل ما عملوه من سيئات قبل التوبة حسنات بعدها تضاف إلى حسناتهم الجديدة: فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات؛ وهو فيض من عطاء الله لا مقابل له من عمل العبد إلا أنه اهتدى ورجع عن الضلال، وثاب إلى حمى الله، ولاذ به بعد الشرود والمتاهة. وكان الله غفورًا رحيمًا. وباب التوبة دائما مفتوح، يدخل منه كل من استيقظ ضميره، وأراد العودة والمآب، لا يصد عنه قاصد، ولا يغلق في وجه لاجئ، أيًّا كان، وأيًّا ما ارتكب من الآثام[291]. بينما يقول سعيد حَوَّى رحمه الله في الأساس في التفسير: ﴿**إِلَّا مَنْ تابَ**﴾ عن الشرك ﴿**وَآمَنَ**﴾ بمحمد عليه‌السلام ﴿**وَعَمِلَ**﴾ بعد توبته ﴿**عَمَلاً صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ**﴾ إما بأن يوفقهم الله إلى عمل الحسنات بدل السيئات، أو أن السيئة تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات. قال ابن كثير: وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر ، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار ، فيوم القيامة وإن وجده مكتوبا عليه فإنه لا يضره ، وينقلب حسنة في صحيفته. ﴿**وَكانَ اللهُ غَفُوراً**﴾ يكفر السيئات ﴿**رَحِيماً**﴾ يبدلها بالحسنات[292].

3 تطبيق الشريعة الإسلامية : الشرع في اللغة: مصدر شرع بالتخفيف، والتشريع: مصدر شرع بالتشديد، والشريعة في أصل الاستعمال اللغوي: مورد الماء الذي يقصد للشرب، ثم استعملها العرب في الطريقة المستقيمة. وشرع الدِّين: سنَّه وبينه، وفي التنزيل العزيز: ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾. [الشورى: 13]. يقول سعيد حَوَّى رحمه الله في الأساس في التفسير: ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ أي: بيّن وأظهر لكم ﴿مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى﴾ أي: شرع لكم من الدين، دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثمّ فسّر الشرع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ أي: دين الإسلام ﴿وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أي : ولا تختلفوا في الدين[293]. بينما يقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن: والذي شرعه الله من الدين للمسلمين المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم هو ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى. والوصية الواحدة الصادرة للجميع: أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فيقيموا الدين، ويقوموا بتكاليفه، ولا ينحرفوا عنه ولا يلتووا به; ويقفوا تحت رايته صفا، وهي راية واحدة[294]. وفي الاصطلاح: ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام في شئون الحياة كلها. لذلك، فشريعة الله هي المنهج الحق المستقيم الذي يصون الإنسانية من الزيغ والانحراف، ويجنبها مزالق الشر ونوازع الهوى. وهي المورد العذب الذي يشفى

[291] سيد قطب. 2013م. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق. ج5. ص: 2579.

[292] سعيد حوّى. 2004م. *الأساس في التفسير*. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ط6. ج7. ص: 551.

[293] سعيد حوّى. 2004م. *الأساس في التفسير*. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ط6. ج9. ص: 241.

[294] سيد قطب. 2013م. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق. ج5. ص: 3148.

غلتها، ويحمي نفوسها، وترتوي به عقولها. ولهذا كانت الغاية من تشريع الله إستقامة الإنسان على الجادة لينال عز الدنيا وسعادة الآخرة[295].

وللشريعة خصائص تمتاز بها ومن هذه الخصائص :

1 اتفاقها مع العقل والفطرة: فلا تعارض بين أحكامها وبين عقل الإنسان وفطرته لأن الذي خلق الإنسان بعقله وفطرته هو الذي أنزل هذه الشريعة. قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾. [الروم: 30]. يقول سعيد حَوَّى رحمه الله في الأساس في التفسير: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً**﴾ أي مائلًا عن الأديان كلها إلى الدين الحق، أي فقوّم وجهك له، وعدّله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا. قال النسفي: وهو تمثيل لإقباله على الدين، واستقامته عليه، واهتمامه بأسبابه، فإنّ من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدّد إليه نظره، وقوّم له وجهه ﴿**فِطْرَتَ اللهِ**﴾ أي خلقة الله ﴿**الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهِا**﴾ أي خلقهم عليها ﴿**لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ**﴾ أي ما ينبغي أن تبدّل تلك الفطرة أو تغيّر. والمعنى: إن إقامة الوجه للدين حنيفًا، هذا هو الذي ينسجم مع الفطرة التي فطر النّاس عليها، وأنّه لا أحد يستطيع أن يبدّل خلق الله، فالفطرة البشرية منسجمة أبدًا مع إقامة الدين لله حنيفًا[296]. بينما يقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن: وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، وكلاهما من صنع الله؛ وكلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه. والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويطب له من المرض ويقومه من الانحراف[297].

2. اليسر ورفع الحرج: فقد رفع الله تعالى الحرج عن الخلق فلم يكلفهم بما هو خارج عن حدود قدرتهم واستطاعتهم، وقال تعالى: (﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾. يقول سعيد حَوَّى رحمه الله في الأساس في التفسير: أي: لا يكلف الله أحدا فوق طاقته. وهذا من لطفه تعالى بخلقه ، ورأفته بهم، وإحسانه إليهم. فتكليفه لا يكون إلا ضمن القدرة، والطاقة بما يتيسر على الإنسان فعله، دون مدى غاية الطاقة والمجهود وهذا النص هو المبين[298]. بينما يقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن: وهكذا يتصور المسلم رحمة ربه وعدله في التكاليف التي يفرضها الله عليه في خلافته لأرض؛ وفي ابتلائه في أثناء الخلافة؛ وفي جزائه على عمله في نهاية المطاف. ويطمئن إلى رحمة الله وعدله في هذا كله؛ فلا يتبرم بتكاليفه، ولا يضيق بها صدرًا، ولا يستثقلها كذلك، وهو يؤمن أن الله الذي فرضها عليه أعلم بحقيقة طاقته، ولو لم تكن في طاقته ما فرضها عليه[299].

---

[295] الجويري، إبراهيم بن مبارك. 1994م. *أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية*. الرياض: مكتبة العبيكان. ط1. ص: 6.

[296] سعيد حوّى. 2004م. *الأساس في التفسير*. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ط6. ج8. ص: 130.

[297] سيد قطب. 2013م. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق. ج5. ص: 2768.

[298] سعيد حوّى. 2004م. *الأساس في التفسير*. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. ط6. ج1. ص: 671.

[299] سيد قطب. 2013م. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق. ج1. ص: 345.

4 . السعة والمرونة: فمصادر الشريعة المتنوعة وما تشتمل عليه من قواعد عامة للاستنباط يجعلها قادرة على مواكبة أي عصر وحل مشكلاته، ويجعلها قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان[300].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الكريم المنّان المتفضّل الذي بفضله وتوفيقه أتممت هذا البحث المتواضع ، والذي أتمنّى أن يتقبله مني ، وأن يجعل فيه خيرا عميما لكل من يقرؤه ويجعله ذخرا لي في آخرتي وعلما ينتفع به ، فهذه الرسالة ما كان فيه من صواب فمن الله وحده وله الحمد والشكر حتى يرضى وبعد الرضى ، وما كان فيه من خطأ أو نقص فمني ومن الشيطان ، وأستغفر الله منه ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب وأسأله سبحانه أن ينفعني بذلك ويجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة وينفع به جميع المسلمين إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

فهذه بعض النتائج التي توصلت إليها وهي كالآتي :

1 إن للشقاء أسبابا كثيرة متعدد ومتنوعة، فوقوع الإنسان بإحدى هذه الأسباب تسهل على الشيطان مهمته.

2 يستخدم الشيطان أساليب عدة لجعل الإنسان يعيش في شقاء فهو يغويهم ويضلهم ضلالا مبينا .

3 البشر قسمان : فقسم هم الذين استجابوا لله تعالى وهم الذين نجو من الوقوع في الشقاء ، ومنهم الذين استجابوا للشيطان ووقعوا في الشقاء .

4 إستمرار عداوة الشيطان للإنسان ما دامت روحه في جسده وذلك بهدف إيقاعهم في الضلال والكفر ليعيشوا في شقاء وليستحقوا اللعن والطرد من رحمة الله كما حدث معه فعند ذلك يخسرون الدنيا والآخرة ويكونوا بجواره في جهنم.

5 إن البعد عن الله تعالى بعد عن السعادة الحقيقية .

6 إن إخلاص العبادة لله تعالى والتقرب إليه بأنواع العبادات المختلفة يكون حاجزا متينا يمنع إقتراب الشيطان والوقوع في الشقاء .

7 هذه الدنيا دار اختبار وابتلاء يمتحن الله فيها خلقه ، ووجود الشيطان فيها فتنة لهم واختبار ليتبين خبيثهم من طيبهم .

[300] العجلوني، محمد سعيد أحمد. 2018م. *التدرج في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الفقه السياسي الإسلامي، وتطبيقاته المعاصرة*. مجلة جامعة القدس المفتوحة. م 1، ع43. ص: 238.